النفائس العصرية

AN-NAFAIS AL-ASSRIAH

PROPRIETOR KHALIL BEDAS

JERUSALEM, PALESTINE.

النفائس العصرية

مجلة ادبية تاريخية فكاهية

تصدر مرتين في الشهر

لصاحبها خليل بيدس

قيمة الاشتراك

ستون قرشاً في البلاد العربية

وسبعون في الخارج

الاعلانات

تُفاوض بشأنها الاداره

الجزء ١٨ = القدس في ١٥ ايلول سنة ١٩٢٠ = السنة ٧

حديث السجون

فرغنا من إعداد الجزء الماضي من المجلة واذا بما لم يكن في الحسبان فقضي علينا بالانقطاع عن العمل بضعة اشهر متوالية لم يمر علينا مثلها في شدة الوطأة والذعر

وقد علم القراء بتفصيل ما حدث مما لا نودُّ اعادته كله ولكننا احببنا ان نسوق الى القراء شيئاً من هذا الحديث ليبقى في هذه المجلة اثراً باقياً وهي احق من غيرها من الصحف بحفظه تاريخاً لما وقع لصاحبها

فقد كان اليوم الرابع من نيسان يوم قدوم موكب الخليل الى القدس للاحتفال بعيد النبي موسى وهو العيد التاريخي الكبير الذي يحتفل به المسلمون في فلسطين عامة ويشاركهم فيه المسيحيون وخصوصاً في هذه السنين الاخيرة التي تجلَّت فيها روح الوطنية وزالت عوامل التفريق بين المذاهب

ووُجدنا مع من وُجد في ساحة باب الخليل في القدس حيث كانت الالوف المؤلفة من اهل الخليل (حبرون) ونابلس والقدس. وكانت الجماهير في احسن مظاهر السرور والبهجة تسير وراء اعلامها وتهزج باهازيجها المعتادة وقد امتلأت السطوح والشرفات والطرق بالنساء والاولاد والشيوخ من جميع الطبقات والمذاهب

كانت تلك الساحة العظيمة تعج عجيجاً بالخلائق ولم يكن فيها الاَّ نفرٌ قليل من رجال الشرطة والدرك

وكانت جمعية النادي العربي قد دعت القوم لتناول المرطبات (ومركز الجمعية في تلك الساحة) فلبت الجموع الدعوة ووقفت سيرها. وكانت الجمعية قد دعتنا للخطابة وألحت علينا فلم نرَ مسوّغاً للامتناع بل رأينا من البهجة العامة ما بعثنا عليها فوعدنا وصعدنا الى شرفة النادي واشرفنا من هناك على تلك الالوف من الجماهير التي كانت تموج بها الساحة موجاً

وكان رئيس البلدية الشهم الوطني الكبير موسى كاظم باشا الحسيني واقفاً على شرفة البلدية يحيي تلك الجماهير ثم اندفع يخطب فيها مرحباً ومهنئاً ويتلو عليها من نصائحه المشهورة والجماهير تقابل كل كلمة من كلماته بالهتاف والدعاء. ولما فرغ عقبناه نحن بالكلام فقهنا بخطاب ترحيبي استطردنا الكلام فيه الى تاريخ العيد وتهنئة الامة به وحثها على التضامن والاتحاد في خدمة الوطن الى غير ذلك من الكلام الذي يوافق

المقام · وتقدم بعدنا صديقنا الفاضل الوجيه عبد الفتاح افندي درويش احد شيوخ عشيرة بني حسن وتكلم في الموضوع نفسه · وتلاه الحاج امين الحسيني فاظهر صورة الملك فيصل ودعا الجماهير الى تحيتها · وكان رصيفنا عارف افندي العارف قبل وصول الجماهير الى موقفها في ساحة باب الخليل قد استقبلها في اول الساحة بخطاب حماسي ترحابي لم يخرج عن المألوف في مثل هذه المواسم والاحوال

وسارت الجماهير بعد الخطب جهة جمعية المنتدى الادبي الواقع منزلها في طريق مأمن الله لان الجمعية كانت قد دعتها ايضاً لتناول المرطبات · ولكن الجماهير ما كادت تقطع من طريقها نحو مئة وعشرين خطوة حتى ارجعها رجال الدرك لسبب لا يزال مجهولاً حتى الان · ولا يخفى ما حصل وقتئذ من الازدحام والاضطراب في رجوع تلك الجماهير لان بعضها كان راجعاً والبعض الاخر ذاهباً فكانت اشبه بالبحر في شدة اضطرابه · ولما وصلت الى ساحة باب الخليل حيث كانت اولاً — ولم تكن تعرف الى اين يريد ان يقودها رجال الدرك — سار فريق كبير منها في طريق يافا · فعاد رجال الدرك وارجعوه · ومعلوم ان طريق يافا وطريق مأمن الله طريقان رحبتان تؤديان الى باب العمود ومنه الى الحرم الشريف حيث أُعد طعام الغداء لكل تلك الجماهير على نفقة الرجل الكريم شحاده افندي خميس · وسار رجال الدرك بعد ذلك بتلك الجماهير في طريق السوق وهي طريق ضيقة لم نعلم حتى الان السر من سوق تلك الالوف في مثل هذه الطريق مع وجود ما هو ارحب منها وابعد عن مواطن الازدحام

وكان بضع مئات من اليهود والصهيونيين تسير مع تلك الجماهير بعضهم للفرجة وبعضهم لغايات اخرى لم يلبث الامر ان كشفها · وكنا قد نبهنا خاطر الحكومة في المظاهرات الوطنية السابقة الى منع اليهود من الاحتكاك بالمظاهرات الوطنية خوفاً من سوء العاقبة وقلنا لها رسمياً ان الوطنيين لا يتداخلون في المظاهرات اليهودية واما اليهود فلا يدعون مظاهرة من مظاهراتنا الا تصدّوا لها وتداخلوا فيها ولا ريب انهم بتغلغلهم بين صفوف المتظاهرين وبما يبدو عليهم اكثر الاحيان من علامات الازدراء والتهكم انما يقصدون التحرُّش بنا كأنهم يدعوننا الى النزال بافصح مقال · وكانت الحكومة تعدنا المرة بعد المرة بمنع مثل ذلك وتهتم للامر الى ان كان ذلك الاحتفال وكان من اليهود حول تلك الجماهير و بينها نحو الاربعمئة بشهادة مدير البوليس نفسه

وما وصلت الجماهير الى باب الخليل حتى وقعت الفتنة ونشب القتال بين العرب واليهود · وكان السبب اليهود انفسهم بما اظهره بعضهم في تلك الجهة من الصلف والازدراء · وما هي الا لحظة حتى انتشر الذعر في المدينة كلها ووقع ما لم يكن في الحسبان · فأرسلت الحكومة قوة عسكرية لضبط الحالة واقفلت ابواب المدينة و بثت رجال الدرك في كل مكان واعلنت الاحكام العرفية واقامت المدافع الرشاشة في جميع الساحات ومعاطف الطرق · واستمر هذا الاضطراب يومين آخرين ثم استتبَّ الامن وعادت السكينة الى مجراها · وقد صُرع وجُرح في هذه الفتنة بضع عشرات من الفريقين وأُحرقت بعض المنازل ونُهبت بعض المخازن

وكانت الحكومة في اصيل يوم الحادثة قد دعتنا وبعض

الاخوان وهم السادة عبد الفتاح درويش وابن عمه سعيد وعارف العارف وكامل البديري وحسن ابو السعود ثم صدر امرها بتوقيفنا فأُخذنا في منتصف الليل الى السجن في صحبة اربعة من ضباط الانكليز . ولما كان الصباح التالي جاء حضرة مدير البوليس الكبتن هوش واخذنا في سيارته الى دار الحكومة حيث لبثنا ثلاثة ايام «ضيوفاً» على الحكومة . وفي اليوم الرابع (٧ نيسان) صدر امر المدير العام الجنرال بولز بالافراج عنا نخرجنا . ولكن لم يمضِ على ذلك الاّ اسبوعان حتى عادت الحكومة فاستدعتنا للمحاكمة وكان قد تألف وقتئذٍ ديوان عرفي قوامه كلٌ من حضرات الماجور ستانتفورثكلي والكبتن بيكر واللفتننت بيري فأخذ في محاكمتنا بناء على التهم الموجهة الينا من قِبل المدعي العمومي الكبتن كويكلي

اتهمنا حضرته بالمواد ٥٧ و٦٢ و٦٦ من قانون الجزاء العثماني لانه ظنّنا محرضين على الفتنة وزعماء للحركة وكنا سبعةً وهم كاتب هذه السطور والسادة عبد الفتاح درويش وكامل البديري وحسن ابو السعود وعبد اللطيف الحسيني والحاج امين الحسيني وعارف العارف غير ان الاخيرَين كانا في دمشق سافر الاول منهما اليها في يوم الحادثة والاخر في يوم صدور امر الحكومة بمحاكمتنا

وقد بوشر في محاكمتنا في اليوم العشرين من شهر نيسان فكنا نأتي الى دار الحكومة كل يوم صباحاً و بعد الظهر ونعود مساء الى السجن حيث أُعدت لنا غرفة خاصة جُهزت بالاسرة وسُمح لنا بالاكل على نفقتنا وكانت شرذمة من الجنود بسلاحها الكامل تخفرنا في ذهابنا وايابنا

وسُمح لنا باقامة محامٍ واحد يدافع عن قضيتنا وهو السيد حسن البديري . ثم سُمح بمحامٍ آخر يساعده في الكتابة فقط . وكان فريق من المحامين الوطنيين الافاضل نخص منهم بالذكر السادة جميل بك الحسيني (القدس) وراغب الامام (يافا) والاستاذ سليمان التاجي الفاروقي (الرمله) وابرهيم كمال (القدس) قد هرعوا للدفاع عنا فلم يسمح لهم رئيس الديوان العرفي بذلك ولكنهم اطلعوا على لائحة الدفاع واقرُّوها

لبثنا في المحاكمة اسبوعاً وشهد لنا وعلينا جمهور كبير بعضهم من موظفي الانكليز والبعض الاخر من الصهيونيين والباقون من الوطنيين نخص بالذكر من الوطنيين سعادة موسى كاظم باشا الحسيني ومن الانكليز الكنن ودي وكيل سيادة مطران الانكليز ورئيس الكلية الانكليزية في القدس والمستر رينولدز رئيس مدرسة القديس جرجس الانكليزية المشهورة في القدس وفي فلسطين كلها . وكانت شهادات الانكليز والوطنيين كلها لنا . اما شهادات الصهيونيين فكانت بالطبع ضدنا . فقد شهدوا علينا باننا حرّضنا القوم على الفتنة وكنا زعماءها ومدبريها وغير ذلك مما لا يصعب صدوره عن امثالهم

نحن لا نستغرب هذه الشهادات ولكننا استغربنا قبول المحكمة بها . وكنا نودُّ لو حكمت بدون ان تسمع هي ونسمع نحن كلام هؤلاء الشهود وهم لم يشهدوا بما شهدوا الاّ بعد ان اقسموا الايمان المغلظة على ما يقولون وقبلوا التوراة . والى القارئ مثالاً واحداً على صدق هؤلاء الشهود : قال احدهم : سمعت خليل بيدس يقول: ايها الناس حافظوا على هذه المدينة المقدسة لان فيها قبر المسيح وقبر محمد ... — فهل يصدق احد من الناس اننا نقول مثل هذا القول ولو كنا في اشد حالات الاضطراب العقلي ؟؟

والذي ادهشنا بنوعٍ خاص ان الشهود سمعوا خطبنا باللغة العربية وأدَّوها امام المحكمة باللغة الانكليزية . ولما طلبنا ان يعيدوا كلامنا او بعضه بالعربية أبوا وابت المحكمة علينا ذلك . اعترضنا على الشهود وقلنا انهم اجانب لا يفهمون لغتنا وخصوصاً اللغة الفصحى منها التي تُليت بها الخطب واظهرنا استعداداً لاقامة الدليل على ذلك فلم يُجب طلبنا فسكتنا . ولما فرغت المحكمة من سماع الشهود اذنت لكاتب هذه السطور بان يدافع عن نفسه فنهضنا وفهنا بما يأتي . وكان المحامي المأذون بالكتابة يكتب كلامنا كلمةً كلمةً ويُترجم جملةً جملةً للمحكمة . وهذا ما استطعنا ان نلخصه للقراء نقلاً عما كتبه حضرة المحامي :

انا يا حضرات اعضاء هذا الديوان الكريم رجل غريب في هذه المدينة . مقيم فيها منذ عشر سنوات فقط قضيتها في المدارس والصحافة ولا ازال الى الان اتعاطى التدريس في بعض المدارس الانكليزية وأنشر مجلتي (النفائس) وهي خالية من المسائل السياسية الاّ في بعض المواضيع الهامة المفيدة . وقد تعاطيتُ على اثر الاحتلال مكاتبة بعض الصحف كالمقطم وفلسطين والكوكب في مصر ومرآة الغرب في نيويورك . وكانت الحكومة تطالع على اكثر مقالاتي ورسائلي بحيث اصبحت خطتي معروفة وواضحة لديها كل الوضوح

لم اشتغل كل هذه المدة في السياسة ولم أنتسب الى جمعية سياسية . وقد دُعيت مراراً لأكون عضواً في بعض الجمعيات فرفضتُ ليس لاني أرى خطراً من ذلك بل لان اوقاتي كلها مشغولة وليس لي فراغ البتة لكثرة ما عليَّ من الواجبات الاخرى . واذا وُجدت بعض الاحيان في جمعية من الجمعيات فلا يكون حضوري فيها الاّ كضيف . او اكون مدعواً لاحدى الحفلات . او مدعواً للخطابة في بعض المواضيع الادبية او الوطنية . وما على المحكمة الموقرة اذا ارادت ان تتحقق صدق هذا الكلام الا ان تسأل اي جمعية شاءت او تطلع على سجلات كل جمعية او تسأل الحكومة المحلية نفسها

وقد كان وجودي في حفلة موكب الخليل التي نحن في صددها اتفاقاً . ولم اعلم بمجيء هذا الموكب في ذلك النهار الاّ في اول ساحة باب الخليل . وكنتُ قد اتيت بزوجتي واولادي في صباح ذلك النهار لحضور الصلاة في الكنيسة وشراء بعض اغراض بعد ذلك لاولادي

وما كدت اصل اول ساحة باب الخليل حتى التقيتُ بالموكب واتفق ان رآني هنا بعض اعضاء الجمعيات الوطنية من اصدقائي فطلبوا مني ان اتلو خطبة على الجمهور والحّوا في ذلك واخذ بعضهم (عائلتي) الى احدى شرفات المجلس البلدي وسرت انا مع الباقين الى دار جمعية النادي العربي

وقد جرى ان انتدبتني الجمعيات في عدة وقائع وحوادث وحفلات للخطابة ولم اكن في كلها الاّ ملبياً . فلبيتُ طلب الاخوان هذه المرة ايضاً غير حاسب لشيءٍ حساباً ككل مرة . وقد خطبت في عدة حفلات في عيد النبي موسى في السنين السابقة وخطبت في كلٍ من المظاهرتين الاولى والثانية اللتين اقامتهما الجمعيات والامة منذ شهر ونيّف وانا اعتقد ان مشاركة الامة في اعيادها وافراحها فرضٌ من فروض الوطنية وليس في القوانين ما يمنع الخطابة لا في موضوع هذا العيد ولا في المظاهرات السلمية ولا في الجمعيات والحفلات . وقد انقضى ذلك العهد الذي كانت الحكومة السابقة تحظر فيه الخطابة وتكمّ الافواه وتعاقب الخطباء والمتكلمين وتعاملهم معاملة المجرمين ...

خطبتُ . وكان كلامي ترحيباً بالقوم وتهنئة بالعيد والحث على الاتحاد والتضامن ليس الا . لم اذكر الصهيونية في كلامي. ليس لاني اخشى ذكر الصهيونية والجهر بخطرها وضررها بل لان الموضوع الان هو غير موضوع الصهيونية ولكل مقام مقال . وقد خطبت من شرفة النادي العربي وكانت الجماهير واقفة في الساحة تحت تلك الشرفة والكل في احسن مظاهر البهجة والسرور

ولما فرغتُ من خطابي تقدم صديقي الشيخ عبد الفتاح درويش وخطب في الموضوع نفسه. وقد خطب غيرنا ايضاً. وبعد الخطب جيء بصورة الامير فيصل فرفعها الحاج امين الحسيني بيديه وهو واقف على الشرفة فرأتها الجماهير وهتفت لصاحبها هتافاً طويلاً وصفقت لها تصفيقاً حاداً متواصلاً مدة بضع دقائق. ثم سارت الجماهير في طريق مأمن الله لتحيي جمعية المنتدى الادبي وتواصل سيرها من هناك الى جهة باب العمود كما جرى مثل ذلك في السنين الماضية . غير ان رجال الدرك قد ارجعوها وساروا بها في طريق السوق وهي طريق ضيقة جداً لا تصلح لسير مثل تلك الجماهير فيها . والمسؤول عن هذه الحركة بلا شك هو محمد الحجازي ضابط الجندرمة لانه كان يقود الموكب

لم يبدُ على الجماهير شيء يدل على الاضطراب والتهيج كل مدة سماعها الخطب. ولا لبدأت عملها هناك من اقرب الناس اليها من اليهود كانوا امثات في تلك الجهة. واما ما كان يظهر منها من الهتاف والتهليل فهو علامات سرور وفرح يبديها كل جمهور في مثل هذه الاحوال سمع خطباً اولم يسمع . وهذا طبيعي لا يحتاج الى برهان. وقد شاهدتم يا سادتي كما شاهدت الحكومة امثال ذلك واكثر من ذلك بكثير يوم خرج موكب القدس للاحتفال بعيد النبي موسى هذا العام وفي مثل هذه الحفلات من السنين الماضية وفي المظاهرات الاخرى لم يكن الشعب متهيئاً للاضطراب ولا مستعداً لشيء مما حدث . واما ما كان في ايدي البعض من المحتفلين من العصي والسيوف فتلك عادة قديمة ترافق هذا الشعب في كل حفلاته ومهرجاناته كهذا المهرجان . وهم يستخدمون هذه السيوفُ للعب بها كلعبة السيف والترس وغيرها من اللعب المعرفة. وقد سمحت بحملها حكومة الخليل يوم خروج الموكب منها كما سمحت حكومة القدس يوم خروج موكبها للاحتفال بالعيد

لا عجب اذا ظهر الاضطراب فجأة . فتلك عادة ايضاً من عادات الجماهير في المواسم والافراح العمومية سواء كانت اسلامية او مسيحية . فقد يحدث الاضطراب وينشب القتال لسبب طفيف جداً ، كما لو سار علم قبل علم او وقف جمهور من فئة معلومة من البلاد في غير الجهة التي جرت العادة ان يقف فيها . وقد تسيل الدماء غزيرة في مثل هذه الحوادث ولمثل هذه الاسباب الطفيفة اذا لم تتداركها القوة العسكرية بالسلاح . وقد جرت امثال هذه الحوادث في اوقات مختلفة بين اهالي الخليل واهالي القدس . وبينهم وبين اهالي سلوان. وبينهم وبين السواحرة. وكما كاد يحدث مثل ذلك بين مواكب الخليل والقدس ونابلس هذه السنة نفسها يوم التقت المواكب بعضها ببعض في البقعة بالقرب من المحطة كما اشار الى ذلك صريحاً رجال الشرطة والدرك في تقاريرهم التي سمعنا بعضها هنا

ولذلك فقد اعتادت حكومات هذه البلاد منذ مئات من السنين ان ترسل لكل مهرجان سواء كان اسلامياً او مسيحياً قوة كبيرة من الجند المنظم لحفظ الحالة . حتى ان مثل هذه القوة كانت تُرسل الى الكنائس المسيحية ايضاً

في كل الحفلات الدينية في المواسم بما لا يقل عن طابور كامل غير قوة البوليس والجندرمة . ولكن بالرغم عن وجود كل هذه القوة كان يحدث الاضطراب في اكثر المهرجانات . وأذكر ان متصرفي القدس كانوا عند نهاية كل عيد وخصوصاً اعياد النبي موسى والفصح في القدس وميلاد المسيح في بيت لحم يبرقون في الحال الى الاستانة بان العيد قد تمَّ بسلام . وكان المتصرف يتلقى من الباب العالي اذا انقضى العيد بسلام شكراً او نيشاناً اوغير ذلك من التعطفات

(بقية الحديث في غير هذا الموضع من هذا الجزء)

الوارث

« تابع لما في الجزء الماضي »



وخرج الاثنان فركبا عربة اقلّتهما الى بيت رجل من اليهود يقال له ارميا . وقد استقبلهما بغاية الترحاب وأراهما كل ما كان عنده من آلات الطرب . وكانت كلها من الانواع الثمينة التي لا توجد الاّ في منازل اهل الثروة والجاه . فاشترى عزيز منها بمبلغ اربعمئة وستين جنيهاً واستطاع بعد كل عناء ان يستدين من صاحبها اربعين جنيهاً وكتب له صكاً بخمسمئة وخمسين جنيهاً تعهد ان يدفعها بعد مضي ستة اشهر من تاريخ الصك

* * *

وقال ناثان لعزيز وهما خارجان من بيت ارميا — اننا سنذهب الان الى منزل خياط مشهور من معارفي يقال له اشعيا لااظن احداً يفوقه في عمل الفراء من كل نوع . فاخترمنها الفروة التي تروقك وساومه على الثمن وعليَّ الباقي . ولكني لا اكتمك مذ الان انك ستخسر شيئاًمن ثمن الالات التي اشتريتها

قال — انا اعلم ذلك ولكني ارجو ان لاتكون الخسارة كبيرة كما ارجو ان نوفَّق الى الفراغ من هذا الامر الشاق ونحصل على الفروة والعقد في هذا النهار

قال — انا أرغب منك في ذلك وسأسعى جهدي في سبيل مرضاتك . ولكني ارى ان تكتفي اليوم بالفروة وغداً نسعى للحصول على العقد من احد اصدقائي الجوهريين

قال — وهل يرضى هذا الجوهري باستبدال العقد بشيء مما لديَّ من الالات الموسيقية؟

قال — قد لا يرضى الاَّ بثمنه مالاً . وقد يرضى بالمبادلة ايضاً اذا رضيت انت بخسارة نحو ربع ثمن الالات او ثلثها

قال — وكيف العمل اذا كان الامر كما تقول ؟

قال — حينئذٍ لا يبقى لنا الا ان نرهن هذه الالات على ثلثي ثمنها. حتى ان ارميا نفسه وهو الذي باعك اياها لا يبعد ان يسترهنها اي يبقيها عنده ويدفع لك ثلثي ثمنها بربا جديد

فحملقت عينا عزيز وقال — فما دام في وسع ارميا ان يسترهنها فلماذا لم نأخذ منه المال المطلوب من اول الامر ؟ ألم يكن ذلك اسهل علينا واقرب تناولاً ؟

قال — نعم غير ان تلك الطريقة اوفر ربحاً لاصحابها واكثر عائدة

قال — ولكنها طريقة سلب ظاهرة وهي غير شريفة في نظري

فضحك ناثان وقال — انت لاتزال جاهلاً في اساليب التجارة ايها الصديق ولكن سوف تنفتح عيناك على كل عجيب وغريب من هذه الاساليب الى ان لا تعود تستغرب شيئاً

وما زالا في مثل هذا الحديث حتى بلغا بيت اشعيا. وكان الرجل عالماً بقدومهما فقابلهما بالبشاشة ودخل بهما غرفة من منزله حسنة الرياش وهو يرحب بهما . واخذ يريهما كل ما كان عنده من الفراء الى ان وقع اختيار عزيز على واحدة منها بلغ ثمنها مئة وخمسين جنيهاً . وقد رضي اشعيا ان يأخذ بدلاً منها قطعة او اكثر من الالات الموسيقية التي لعزيز . ثم اتفق الثلاثة ان يذهب اشعيا وناثان ليفحصا الالات ويبقى عزيز في المنزل

وكان لاشعيا ابنتان جميلتان احداهما في سن الثامنة عشرة والاخرى في سن السادسة عشرة من العمر فاستدعاهما اشعيا وعرفهما بعزيز واوعز اليهما ان تنوبا عنه في تسلية الضيف ثم خرج في صحبة ناثان وبقي عزيز

في تلك الغرفة وقد راقه جمال الفتاتين وظرفها وحسن اسلوبها في المفاكهة وقضى واياهما نحو ساعة من الزمن وهو طيب النفس منشرح الخاطر الى ان عاد اشعيا وناثان

فقال اشعيا لعزيز — لقد رأيت الالات الموسيقية وفحصتها جيداً فلم ارَ فيها ضالتي لانها ليست من الانواع الممتازة ولكني رغبة في صداقتك ارضى بالمبادلة

فقال عزيز — ليكن كما تقول . فهل انتقيت شيئاً منها ؟

— انتقيت البيانو الكبير والبيانو الصغير فما ثمنهما ؟

— ثمن الكبير مئة واربعون جنيهاً والصغير مئة فخذهما واعطني الفروة وتسعين جنيهاً فوقها

— لا يمكن ان يكون هذا

— وكيف تريد اذاً ؟

— آخذهما وعشرة جنيهات ايضاً لاعطيك الفروة

— ولكني اشتريتهما بمئتين واربعين جنيهاً وثمن هذه الفروة مئة وخمسون جنيهاً كما قلت

— حسن ولكن ثمن الفروة الحقيقي هو مئتا جنيه وقد جعلته لك مئة وخمسين اكراماً لصديقي ناثان وحباً بصداقتك

— اشكرك وارجو ان اكون عند ظنك بي

— هل تعدني اذاً ان تخيط عندي ثياباً لنفسك مدة ثلاث سنوات متوالية بمبلغ ستين جنيهاً كل سنة ؟

— أعدك

— اكتب لي تعهداً بذلك

— ولمَ هذا التعهد ؟

— هو لتوثيق عرى الصداقة والمودة فيما بيننا ليس الا وحينئذٍ أرضى بان استبدل هاتين الالتين بالفروة دون ان اخذ منك اضافة مالية

— ان ثمن هاتين الالتين هو مئتان واربعون جنيهاً ولا سبيل الى تخفيض هذه القيمة الا ان يكون ذلك بضعة جنيهات فقط

— اذاً يستحيل علينا الاتفاق فلنفترق صديقين لاني احببتك من اول نظرة وارجو ان يكون فيما بيننا علائق حسنة

فأُسقط في يد عزيز لدى سماعه هذا الكلام واخذ ينظر الى ناثان غير ان هذا كان يتلهى باشياء اخرى وهو يحاذر ان يلتقي نظره بنظر عزيز

وعاد عزيز فقال — اعطني فوق الفروة سبعين جنيهاً وكفى وهذا اقصى حد استطيع البلوغ اليه في التساهل

— لا . وهذا مبلغ كبير جداً لا يمكنني ان ارضى به ولعلك تتوفق الى فرَّاء اخر يكون اكثر تساهلاً مني

وما زال الاثنان يتساومان وقد اشترك معهما ناثان في الجدال وهو يظهر رغبته في الانتصار لعزيز حتى اتفقوا اخيراً على ان يعطي اشعيا عزيزاً عشرين جنيهاً فوق الفروة . غير ان اشعيا اشترط في مقابل ذلك ان ياخذ من عزيز تعهداً بان يخيط عنده ثياباً مدة ثلاث سنوات بستين جنيهاً كل سنة

فقال عزيز — اني اعدك بذلك بدون هذا التعهد الغريب

اشعيا — لا غرابة في الامر وما إلحاحي بهذا التعهد الا لتذكرني وتأتي لزيارتي من وقت الى اخر وتحضر على الخصوص المآدب وحفلات الرقص التي تحييها ابنتاي في هذا المنزل لجمهور كبير من حسان المدينة وخيرة شبانها

عزيز — اشكرك وأعدك بحضور هذه الحفلات كما اعدك بالزيارة

اشعيا — ومع هذا فلا بد من كتابة التعهد لتوطيد الصداقة فيما بيننا

عزيز — هذه اول مرة في حياتي اسمع بان الصداقة تتوطد بالتعهدات

اشعيا — وما الذي يخيفك من هذا التعهد ؟ ألا تخيط لنفسك بستين جنيهاً كل سنة ؟ واذا لم تكن انت في حاجة الى الثياب الجديدة كل سنة افليس لديك من المستخدمين من يحتاجون الى الثياب باكثر من هذا المبلغ ؟ فالتعهد اذاً وعدمه سيان فلا يثقلنَّ عليك الامر

فضحك عزيز وقال — ليكن ما تريد

وقام بعد ذلك فكتب التعهد . ثم ودع اشعيا وابنتيه على ان يعود بعد ساعتين او اكثر ليأخذ الفروة وخرج . وخرج معه ناثان

فقال عزيز — اشكرك ايها الصديق لانك ساعدتني احسن مساعدة في تدبير الامر . واسألك ان تجتهد غداً في مبيع بقية الالات الموسيقية لاشتري العقد واستطيع ان اقوم ببعض النفقات الاخرى المطلوبة لاستير

قال — اذا اردت ان يتم ذلك سريعاً فما عليك الا ان ترهنها ولو عند بائعها نفسه

قال — افعل ما تشاء بشرط ان يتم كل ذلك غداً . وغداً احاسبك عما اصبحتُ مديناً به لك

ثم افترقا وذهب كل منهما في طريقه



ولما عاد عزيز الى منزله استقبلته مريم حظية عمه والاضطراب بادٍ في وجهها . فذُعر عزيز وقال — ماذا جرى وكيف حال عمي الان؟

فقالت له مريم — قد ساءت حاله جداً هذا النهار وكاد يقضي نحبه . وقد ارسل في طلبك مراراً الى المحل فلم يظفر بك احد هناك

قال — ولكني ودَّعته صباحاً وكان في عافية ونشاط فكيف تبدلت احواله بهذه السرعة

قالت — نعم وقد ظلَّ في نشاطه الى الظهر ثم اخذ يتعب ويتلاشى

قال — ألم تدعوا له طبيباً ؟

قالت — بلا شك . ولكننا لم ندعُ طبيبه الخاص لاننا لم نجده فاستدعينا طبيباً آخر وقد فحصه فحصاً مدققاً وأعطاه علاجاً مفيداً جداً ما كاد يتجرعه حتى اخذت العافية تدب في عروقه وأظنه احسن الان مما كان عليه منذ ساعة

قال — وهل هو وحده الان ؟

قالت — عنده نجلاء تقرأ له في الكتاب المقدس . فاذهب اليه اذا احببت لانه ينتظرك

قال — ها انذا ذاهب

قال هذا وسار تواً الى مخدع عمه فالفاه جالساً في سريره ونجلاء على كرسي الى جانب السرير . فحياه عزيز وسأله عن حاله . فقطب الشيخ جبينه وصاح به — اين كنت النهار بطوله ايها الولد العقوق فقد طلبتك مراراً ولم اجدك . فاين كنت غائصاً ؟

فقال عزيز — كنت يا عماه في بعض البيوت التجارية في المدينة ادرس الحالة الحاضرة واسعار البضائع وغير ذلك مما لا بدَّ منه

وكانت نجلاء لما رأت الجدال آخذاً في الاحتدام بين الشيخ وابن اخيه قد نهضت وخرجت

وعاد الشيخ نعمان الى الحديث فقال — انت كاذب في كلامك ولم يعد في استطاعتك ان تغشني وتخدعني كما كنت تفعل اولاً . ان نفسي حزينة وانت لا تزال عاملاً على زيادة حزني وألمي دون ان يهمك شيء من امري . لقد ربيتك صغيراً وثقفتك في احسن المدارس لتكون وريثي وحامل اسم اسرتك الشريفة غير انك لا تبالي بكل هذا . انك تخادعني الان وتكذب عليَّ ولكنك لا تخدع الا نفسك ولا تكذب الا عليها . فماذا يحلُّ بك بعد موتي ؟ بل ماذا يحلُّ باموالي واملاكي متى صارت اليك ؟ لا شك انك ستبددها ذات اليمين وذات الشمال وتصبح صفر اليدين حقيراً

وكان عزيز يسمع كلام عمه والتأثر ظاهر في وجهه وكاد يقع على قدميه ويعترف له بحبه لاستير ولكنه خشي ان يزيده حنقاً ولما فامسك عن الكلام واطرق براسه مفكراً

ورأى الشيخ تأثره فأمسك عن الاسترسال في توبيخه وقال — تركتني صباحاً في عافية غير ان المرض لم يلبث اشتدَّ عليَّ فشعرت بان صدري يكاد ينشق وروحي تكاد تفيض . وما اقبل المساء حتى عادت اليَّ العافية ولا ازال في هذه الحالة الان فعسى ان يجد الكرى سبيلاً الى اجفاني فأنام مرتاحاً

فقال عزيز وهو يحاذر ان يلتقي نظره بنظر عمه — نعم يا عماه وانا أرى النشاط في عينيك الان اكثر منه اليوم صباحاً فأستودعك الله على امل ان اراك غداً احسن حالاً من الان

قال — أرسل لي نجلاء لتواصل قراءتها لعلي انام على صوتها وارقد انت بعد العشاء في سريرك وتأمل ملياً في كلامي لعلك تهتدي الى افضل مخرج مما انت فيه من الضلال

فخرج عزيز وذهب الى حيث كانت نجلاء فرآها مع والدتها فاشار اليها ان تدخل على عمه . وبقي هو مع الوالدة يحادثها على خلاف العادة وقد عزم ان يتحبب اليها ليأمن الخطر من جانبها لانه كان عازماً ان يخرج تلك الليلة من المنزل ليجتمع باستير وخاف ان يدري عمه بخروجه بدون رضاه فرأى ان يتخذ مريم من حزبه لتدرأ عنه هذا الخطر

ولبث عزيز في حديثه مع مريم حتى خرجت نجلاء من مخدع الشيخ واقبلت عليها . فبش عزيز في وجهها وسألها عن عمه فقالت — انه نام ودلائل العافية ظاهرة في وجهه ولا يبعد ان ينام الليل بطوله

فقال عزيز — كنتُ اود ان اراه قبل استغراقه في النوم لاستئذنه في الخروج لبعض الشؤون الخطيرة واخشى ان خرجت بدون اذنه ان يستشيط عليَّ غضباً حسب عادته

فقالت مريم — اذا كان لا بدَّ من خروجك فاخرج ومتى أفاق عمك وطلب مقابلتك اخبره بالواقع

قال — هذا اذا طلب مقابلتي · اما اذا لم يسأل عني او ظلَّ مستغرقاً في النوم فلا تخبر به شيئاً

فوعدته مريم خيراً · فشكرها ثم ودَّعها وودع نجلاء بلطف لم تعهده فيه من قبل وخرج · وما كاد يخطو بضع خطوات في الشارع حتى مرَّت به عربة فوثب اليها وأمر السائق ان يأخذه الى منزل اشعيا الفرَّاء · وكان اشعيا قد هيأ له الفروة فأخذها وواصل سيره الى المسرح · وكان الممثلون قد شرعوا في التمثيل وانتهى الفصل الاول

وذكر عزيز بحال دخوله الدَّين الذي لموسى امين صندوق المسرح عليه ، وكأنَّ موسى كان ينتظره ، فلما أبصره عزيز تقدَّم اليه ونقده الاثنين والعشرين جنيهاً ، ثم ناوله الفروة وقال — أدخلها حالاً الى مدير التمثيل واطلب منه بلساني ان يقدمها الى استير حينما تخرج الى المسرح لترقص

وكان موسى عندما تسلَّم المال قد طفح وجهه سروراً ولم يعد يعلم كيف يشكر عزيزاً ويقوم بخدمته · فلما اوعز عزيز اليه بتقديم الفروة قال له — السمع والطاعة يامولاي ··· اني سأقدمها في الوقت المناسب واقدم معها ضمة من احسن الزهور جاءتني اليوم من احدى الحدائق لابيعها لطالبيها وانت بلا شك احق بها من غيرك

فسرَّ عزيز غاية السرور ودفع لموسى ضعفي ثمنها واسرع بعد ذلك الى المكان الذي اعتاد ان يجلس فيه · وكان بقربه عدد ليس بالقليل من الضباط والاعيان وفي جملتهم نفر من الطاعنين في السن والكولونيل والتاجر الغني اللذان كانا يتزلفان الى استير ويخطبان مودتها · وكان موضوع حديث الكل استير وتفننها العجيب وجمالها الباهر · وكان عزيز يسمع كلامهم وطرفه شاخص وقلبه خافق وفكره سابح في لجج العواطف الحبية والوجدانات النفسانية وكان كلما ذكر اسم استير يرتعش خوفاً عليها ان تفلت منه وتصير الى بعض هؤلاء المتدلهين بها · فعزم على ان يتوسل بكل وسيلة للاستئثار بها وتمكين حبه في قلبها · ثم قال في نفسه — ولكن انى لهؤلاء ان يقوموا بخدمتها كما اقوم انا او يقدموا لها من التحف الجميلة ما اقدمه انا ؟ ان استير لا تنتظر ان تكون الفروة التي وعدتها بها من هذا النوع الثمين وجل ما كانت تتمنى ان تحصل على فروة بثلاثين او اربعين جنيهاً لا بمئة وخمسين او بمئتين · وساقدم لها غداً العقد ثم استأجر لها عربة تكون قيد اشارتها كل يوم · وقد صحت عزيمتي ان أتخذ لها منزلاً فخماً أنقلها اليه من منزلها الحالي وافرشه باحسن المفروشات وازينه باجمل الرياش وافخر الاثاث · ولا اظنها بعد كل هذا تروم سواي خليلاً او ترضى عني بديلاً ··· واما انتم ايها المعجبون باستير والهائمون بجمالها فلن تنالوا منها قلامة ظفر ···

وبينا عزيز في مثل هذه التأملات برزت استير الى المسرح ، فصفق الجمهور لها ابتهاجاً وترحيباً · ثم رقصت فسلبت القلوب · وغنت فسحرت العقول · وكان عزيز اشدَّ الناس كلهم تصفيقاً واعجاباً وافتتاناً وقد نسي عمه ونصائح عمه ولم يخشَ تهديده اياه بالحرمان

ولما بلغت استير آخر دورها في الرقص دخل المسرح مدير التمثيل يحمل بين يديه الفروة وضمة الزهر فقدمها اليها · فضجَّ الناس في الحال باصوات الاستحسان والتصفيق حتى اهتزت لذلك اركان المسرح

وعلمت استير بان هذه التقدمة هي من حبيبها عزيز فأرسلت اليه نظرة وابتسامة ثم اخذت الفروة والضمة وخرجت بخفة الظبي ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى اخذ الجمهور يصفق ويضج طالباً عودتها · فعادت وقد ألقت الفروة على كتفيها فازدادت بذلك رواءً · ثم رقصت وغنت فبهرت الابصار كما بهرت الاسماع

* * *

ولما انتهى التمثيل دخل عزيز الى غرفة استير في المسرح فاستقبلته وهي تطفر فرحاً ثم وثبت الى عنقه تقبله وتقول — لقد اسعدتني اليوم ايها الحبيب وانجزت وعدك كاكرم الرجال وأوفاهم · ولست اكتمك اني لم اكن انتظر ان تكون هديتك هذه من هذا النوع الثمين الذي لا يقتنيه الا اهل الطبقة العليا من ارباب الثروة والجاه

فنظر اليها عزيز وهو يزداد افتتاناً بها وقال — وهل يطاوعني قلبي ان اقدم لك شيئاً بخساً ؟

وكانت راحيل عمة استير حاضرة فقالت — حقاً انها فروة ملكية ولا اظن ان ثمنها يكون اقل من مئتي جنيه

فقال عزيز — اصبتِ فانها لكذلك

استير — هكذا تكون الهدايا والاّ فلا

عزيز — وساقدم لك غداً العقد والعربة ثم اهتم بتجديد اثاث منزلك وقد أتخذ لك منزلاً آخر يليق بكِ لاني اروم ان تكوني كملكة يحسدها الجميع

استير — تعال اذاً لاقبلك مرة اخرى واهمس في اذنك شيئاً

ثم اخذته في راسه وعضته في خده حتى صاح عزيز من شدة الالم .

ولكنه عاد فافتر ثغره سروراً عندما أسرّت اليه ما ارادت

وجاء في هذه اللحظة مدير التمثيل ومعه ناثان والكولونيل ودعا استير وعزيزاً الى العشاء في احد الفنادق القريبة

فقالت استير — وهل يكون المسيو ناثان مرافقاً لنا ؟

ناثان — نعم يا سيدتي وقد جئت الليلة خصوصاً الى هنا لاجتمع بك وبالمسيو عزيز

فشكرته استير ثم التفتت الى الكولونيل وقالت — وانت يا حضرة الكولونيل ألا تصحبنا ايضاً ؟

قال — اذا سمحتِ لي بذلك فاني اكون من الشاكرين . واعلمي يا سيدة الملاح باني لم استطع الانصراف الى منزلي قبل ان أقوم بشعائر الشكر والامتنان لربة الفن فرآني مدير التمثيل ولم يشأ الا ان يجعل حظي كبيراً بالاجتماع بكِ على العشاء

فحنت استير له راسها شاكرة ثم عادت وقالت لناثان — اما انت ايها الصديق فلا اظنك من رأي الكولونيل في موضوع الفن وانما جئت لتقابل عزيزاً

قال — أصبتِ ولكنك لا تلبثين ان تجعليني من عبّاد كل فن جميل

قالت — واين سارة ؟ اني لم أرها معك هذه الليلة

قال — بقيت في المنزل وهي ستزورك غداً

قالت — حسن . والان اذا طلب عزيز منك اثاثاً جديداً لي فاجتهد ان يكون هذا الاثاث من اجود الانواع وأتقنها واجملها

قال — لا احب اليّ من القيام بكل خدمة لك وللمسيو عزيز

وكان مدير التمثيل قد هيأ العربات فركبها الحضور وساروا الى الفندق الذي أعدّ فيه العشاء . ولبثوا هناك ثلاث ساعات قضوها في احسن حالة من الانشراح والسرور ثم عادوا واكثرهم في حالة السكر وقد ذهب عزيز في صحبة استير يشيعها الى منزلها .



٩

لم يرجع عزيز الى منزله الا الساعة السادسة صباحاً وكان في حالة من القلق والاضطراب يعجز القلم عن وصفها . وقد دخل المنزل دخول اللص المذعور وسار الى غرفته وهو يود ان لا يراه احد . غير ان مريم ابصرته فأسرعت اليه وقالت — ان عمك قد سأل عنك هذه الليلة اكثر من ست مرات آخرها منذ نحو نصف ساعة فقط

فوجم عزيز وقد زاد اضطرابه وخوفه وقال — وماذا كنت تقولين له كل مرة ؟

قالت — كنت اقول له انك خرجت لبعض مهام خطيرة

قال — وماذا جرى حتى انه سأل عني بكل هذا الاهتمام ؟

قالت — لم ينم الليل كله فقد عاوده الالم واشتد عليه السقام حتى كدنا نيأس من حياته . وكان يغيب بعض الاحيان عن الوجود فنظن انه قضى نحبه

فتنهد عزيز وقال — والان كيف اصبح ؟

قالت — انه الان في عافية وقد زال الخطر

قال — وهل جاء الطبيب ليلاً ؟

قالت — نعم وقد لبث عنده بضع ساعات متوالية ولم ينصرف الا الساعة الرابعة صباحاً

قال — وما رأيكِ الان ؟ هل ادخل عليه ؟

قالت — لا بدّ من ذلك لانه امر ان نرسلك اليه بحال رجوعك

قال — وهاءنذا منطلق اليه فليفعل ما يشاء

قال هذا واصلح من شانه ثم دخل الى مخدع الشيخ فرآه جالساً في سريره وهو مقطب الوجه ثائر قوى النفس . فحياه عزيز وهو مطأطئ الراس ودنا منه يريد ان يقبل يده . فنظر اليه الشيخ بعينين تتقدان بنار الغضب وصاح به قائلاً — اين كنت الليل بطوله ايها الشقي ؟

فقال عزيز — لا تضطرب يا عماه ولا تغضب لان هذا مضرّ بك

فهزّ الشيخ راسه وقال وهو يزداد تهيجاً — وهل انت ممن يبالون بغضبي ورضاي او بموتي وحياتي ؟ فاغرب عني ايها الدنس واخرج من هنا في الحال

ورأى عزيز ان لا يعتذر بشيء لانه لم يجد سبيلاً للاعتذار فخرج وقد فارقه فكره وسار وهو على غير هدى وقد ابصرته مريم ونجلاء في تلك الحالة فدنتا منه وسألتاه عما جرى فلم يحر جواباً . ثم خرج من المنزل دون ان يتناول شيئاً من الطعام . ولكنه ما كاد يسير قليلاً حتى عاد الى رشده وقد تمثلت له حبيبته استير بكل سنائها فذكر ما جرى بينه

وبينها من الحديث وما كان من ظهورها له باشد عواطف الحب والتعلق ·

فتنفس الصعداء وقال في نفسه — لا بد من القيام بكل ما وعدتها به امس · فليغضب الشيخ ما شاء وليفعل ما شاء . فاليوم خمر وغداً امر

ومرَّت به عربة وهو في تلك الحالة فركبها وسار الى محل احد اصحاب العربات واكترى منه عربة لاستير تكون قيد اشارتها كل يوم باجرة ستين جنيهاً كل شهر وكتب لصاحب العربة صكاً بالقيمة وطلب منه ان يرسل العربة حالاً

وانطلق عزيز من هناك الى منزل ناثان الصيرفي وهو يناجي نفسه بقوله : اني سأفاجئ استير اليوم بالعربة فيكون سرورها عظيماً ويزداد اعجابها بي فلا تعود تنظر الى سواي ولا شك انها بعد هذا ستبعد عنها الكولونيل وكل من كان على شاكلته ممن يتكلمون كثيراً ويفعلون قليلاً

وظل يناجي نفسه بمثل ذلك حتى بلغ منزل ناثان وقد استقبله هذا بغاية المودَّة ودعاه لتناول طعام الفطور معه وألحَّ عليه بذلك · فلبى عزيز الدعوة ودخل واياه غرفة الطعام · وكانت هناك سارة حظية ناثان فجلس الثلاثة الى المائدة واخذوا في الحديث

وكانت سارة قد علمت بالهدية التي قدمها عزيز الى استير امس فقالت له — احسنتَ احسنت والله بتقديم مثل هذه الهدية الثمينة لاستير فهي تستحق منك كل عناية

قال — وقد اكتريت لها اليوم عربة تكون تحت مطلق تصرفها على الدوام

فصفقت سارة طرباً وقالت — بورك فيك فقد ابهجتها اخيراً وقمت بواجب المحب المخلص · وسأزورها انا اليوم ونخرج معاً للنزهة في عربتها الجديدة

فقال ناثان — غير ان المسيو عزيزاً لا يريد ان يقف عند هذا الحد · فقد وعد استير بان يقدم لها اليوم عقداً جميلاً واثاثاً جديداً لمنزلها

عزيز — وساكتري لها منزلاً اخر اجمل من منزلها الحالي وأرحب

سارة — هكذا يكون المحبون وليس كصديقك ناثان فانه لا يهديني شيئاً من امثال هذه الطرف النفيسة

فضحك ناثان وقال — سأشتري لك عقداً في هذا النهار فلا تبتئسي

ثم التفت الى عزيز وقال — ينبغي لنا اولاً ان نقابل ارميا الموسيقي لنرهن عنده الالات الباقية ثم نهتم بالعقد والاثاث

عزيز — حسن فافعل ما تريد

وكانوا قد فرغوا من الطعام فنهض عزيز وناثان فخرجا وركبا العربة الى منزل ارميا . وكانت الالات الموسيقية الباقية عنده لعزيز تُقدَّر بقيمة مئتين وعشرين جنيهاً غير ان عزيزاً لم يتمكن من رهنها باكثر من مئة واربعين جنيهاً لمدة ثلاثة اشهر وذلك بعد كل جهد وعناء

وقال عزيز لناثان بعد خروجهما من منزل ارميا — الى اين تريد ان نذهب الان ؟

قال — ارى ان نذهب اولاً فنشتري الاثاث وانا اعرف في هذا الحي سيدة تدعى راحاب اعلنت منذ ايام انها تريد ان تبيع اثاثها لانها مزمعة على السفر · وكل اثاثها من الانواع الفاخرة الجديدة

قال — حسن فهيا بنا

***

ووصل عزيز وناثان بعد ربع ساعة الى منزل راحاب وكانها كانت عالمة بقدومهما فاستقبلتهما احسن استقبال ودعتهما للجلوس

وكانت هذه المرأة في سن الثلاثين من العمر وعلى اعظم جانب من الجمال والظرف

فقال لها ناثان — اذا كنتِ لا تزالين عازمة على مبيع الاثاث فارجو ان تُرينا اياه لان صديقي المسيو عزيزاً يروم ان يشتريه

قالت — حبًّا وكرامةً وهذا هو الاثاث معروض لمن شاء فتفضلا والحصاه

ثم سارت امامهما الى ردهة كبيرة عُرض فيها شيء كثير من الاثاث الجميل والرياش الفاخر الذي لا يوجد مثله الاَّ في منازل الكبراء وقد أعجب به عزيز وفحصه قطعة قطعة وهو لا يكتم اعجابه وسروره واخذ بعد ذلك في المساومة

فقالت راحاب — هذا الاثاث اشتريته منذ شهر فقط بستمئة جنيه وبما اني عازمة الان على السفر الى اوربا لامر عائلي ذي بال فانا مضطرة الى بيعه وقد جعلت ثمنه خمسمئة جنيه

فلما سمع عزيز ذلك اخذ ناثان ناحية وقال — غير ان منزل استير لا يتسع لكل هذا

ناثان — ولكنك وعدتها باستبداله بمنزل اخر اكبر منه واجمل فهل نسيت وعدك ؟

عزيز — لا . لم أنسَ

ناثان — اذاً لا تضيع هذه الفرصة لانك لن تجد اثاثاً جميلاً كاملاً

بخمسمئة جنيه · وانا ارى ان هذه السيدة لولا اضطرارها الى السفر السريع لما باعت اثاثها بمثل هذا السعر

عزيز – فاذا كانت على اهبة الرحيل كما تقول فهل ترضى بالبيع دينًا ؟

ناثان – عليَّ تدبير الامر فاسمح لي بمخاطبتها على انفراد

« ستأتي البقية »

ماذا كنا وماذا صرنا

وهو الخطاب الذي ألقاه صديقنا الاستاذ خليل افندي السكاكيني في حفلة اقامها النادي العربي في دمشق منذ سنة ولم يطبعه حتى الان · ولم يكن له وقتئذٍ الوقع الحسن في نفوس جمهور من السامعين لان الخطيب لم ينسج فيه على منوال العدد الكبير من خطبائنا الذين يلبسون الحقائق غير لباسها ويتزلفون الى الامة او الى الشعب البسيط منها بكل جعجعة فارغة وكلام هراء

كنت اوثر لو أُعفى من الخطابة او على الاقل لو تُؤجل الى فرصة أُخرى ريثما استريح واتمكن من الوقوف على الحركة الفكرية في دمشق أمّ البلاد فاختار الموضوع الذي يناسب المقام، واستوفي فيه الكلام، ولكني أُمرت ان اتكلم في هذا الموضوع فامتثلت وعسى ان يكون في ذلك ما يشفع في قصوري ان شاء الله

« ماذا كنا وماذا صرنا »

سأل اب ولده الصغير ذات ليلة : ماذا تعلمت اليوم في المدرسة؟ فقال قصة يوسف . فقال الاب وما هي ؟ فقال ولد ضاع ثم لقيه ابوه. قصة طويلة عريضة اختصرها الولد بكلمتين. ولد ضاع ثم لقيه ابوه. واذا جاز لي ان اجري على طريقة هذا الولد في الجواب على هذا السؤال ماذا كنا وماذا صرنا قلت وأستميحكم العفو: لم نكن شيئاً ولم نصر شيئاً. لم نكن شيئاً لان هناك اسباباً عديدة كبيرة وصغيرة لا محل لبسطها هنا لم تساعد على ان نكون شيئاً، ولم نصر شيئاً لاننا في دورنا الجديد ابناء الساعة ولا يمكن ان نصير في ساعة شيئاً... نعم ولكن لا بدَّ من الكلام فقل ماذا كنا ؟

حين كنا تلاميذ في المدرسة كنا نتناوب الخطابة مرتين في الاسبوع . وماذا كان عسانا ان نخطب في ذلك العهد ونحن لا نزال اطفالاً لم نقرأ شيئاً ولم نعرف شيئاً ؟ ولكن قالوا اذا تمرنتم على الخطابة تصيرون خطباء. فكنا مهما كانت مواضيعنا نبتدئ الكلام بقولنا الحمد لله الذي خلق آدم من التراب ووضعه في جنة عدن ثم طرده منها ثم ثم . . الى ان نصل الى زماننا ذاك حتى تبرَّم الرئيس والاساتذة من خطبنا فقال مرة الرئيس أطلب من الخطيب للمرة الاتية ان يبدأ خطابه من نوح وليترك ادم قليلاً فقد ازعجتموه وازعجتمونا معه . . .

اذا اردنا ان نستوفي الكلام عما كنا عليه قبل اليوم فليس لنا الآن نبدأ من آدم ولان لنا اتصالاً بالامم القديمة والحديثة فلا بد من ان نتكلم عن كل هذه الامم

تعرفون ذلك الكتاب الذي يسمى تاريخ سوريا . الذي لا يعرف هذا الكتاب يقول كتاب صغير يتعلق بتاريخ قطعة صغيرة من الارض. ولكن الحقيقة ايها السادة ان كتاب تاريخ سوريا يتألف من عدة مجلدات ضخمة تسع تاريخ العالم باسره وعالمين او ثلاثة معه . . لست انكر عليكم انني لا استطيع ان اسرد عليكم تاريخ العالم في هذه الليلة من آدم الى اليوم فضلاً عن اني سئمت هذا الموضوع من عهد المدرسة

ضم مجلس يوماً استاذين وشخصاً ثالثاً فدخل الاستاذان في الابحاث الصرفية فاختلفا في لفظة . الواحد قال انها اسم فاعل والاخر قال انها صفة مشبهة . وطال الاخذ والرد بينهما حسب عادة الاساتذة . فما كان من صاحبهما الا ان قام

ليذهب فقالا له لماذا تذهب فقال صرت اتجشأ صفة مشبهة. نعم وانا ايضاً صرت اتجشأ من الكلام عن الماضي من آدم الى اليوم وقد قطعت عهداً مع نفسي اني اذا اضطررت ان اتكلم عن الماضي لاذكر الا ما رأيته بعيني وشهدته بنفسي. ولان ما رأيته وسمعته قريب العهد جداً فلا حاجة الى ذكره لانه معروف عند الجميع. نعم ان هناك ابحاثاً كثيرة تحتاج الى تحقيق واعادة نظر إما لاننا نسيناها او لاننا اختلفنا فيها. ولكن اذا فتحت عليّ هذا الباب فلا اتخلص منه الى الابد. نعم ولكن لا بدَّ من الكلام فقل ماذا كنا. لعلكم تريدون ان اتكلم عما كنا عليه يوم أعلن الدستور فاصبحنا كلنا دستوريين. اويوم انتشرت دعوة الاتحاديين فاصبحنا كلنا اتحاديين بل تركاً اكثر من الترك انفسهم. ولكن هذا الكلام اقرب الى ادم منه الينا فلنتركه.. اذاً ماذا تريدون ان اقول. اتريدون ان اتكلم عما كنا عليه يوم اعلنت الحرب، يوم كنا نسبح ونمجد جمال باشا ونقيم له الولائم والحفلات ونعقد له اقواس النصر ونرفع اليه القصائد الرنانة ونعدد مناقبه ونقول انه القائد العظيم الذي لم يرَ ولن يرى الدهر له مثيلاً والمصلح الكبير الذي تدارك الله به الامة فجدد حياتها ووفر لها اسباب السعادة؟ يوم كنا اذا رأى الواحد منا غير شيء ظنه رجلاً، يوم كانت الوطنية ذنب كثيرين منا فاصبحت اليوم سلعة كثيرين بها يتاجرون؟.. اذا فتحنا هذا الباب فلا نستطيع ان نسدّه فالاولى ان تعذروني في ترك هذا الموضوع ومهما كنا فرحمة الله علينا يوم كنا...

وأنتقل الى القسم الثاني من الموضوع وهو ماذا صرنا وماذا نكون.. لست من المتشائمين الذين يقولون لن نكون شيئاً. اننا امة نزلت في التدني الى اسفل الدركات. اننا امة فقدت قواها الحيوية منذ امدٍ بعيد، منذ العهد الحديدي او الجليدي اوسنة كذا قبل المسيح او بعده. واذا فقدت امة قواها الحيوية فلن تسترجعها. نعم لست من اولئك المتشائمين وان كثر عددهم لسوء الحظ منا ومن غيرنا.. وكذلك لست من اهل الخيال الذين يهيمون في كل واد ويتصورون المستقبل لا كما يجب ان يكون او كما يمكن ان يكون ولكن كما يصوره لهم الخيال البعيد كما تصوره ذلك الشاعر سماء من عقيق.. انا لا استطيع ان اتصور سماء من عقيق، بل لست من اولئك الذين يقولون اننا سنكون كما نحب ان نكون. لم تكن امة كما احبت ولن تكون امة كما تحب. دعونا من الامم ولنأخذ الافراد. اي فرد في الانسانية من آدم الى اليوم استطاع او يستطيع ان يكون كما يحب او نصف ما يحب او ثلثه او ربعه او جزءاً من مئة او الف؟

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

نعم لست من كل هؤلاء وارجو ان يقل عدد المتشائمين والخياليين بيننا والا فاننا نخدع انفسنا ونكذب حسنا. التشاؤم مرض في الدماغ والإغراق في عالم الخيال ضرب من الجنون. ولكنني ممن يعتقدون بمذهب النشوء والارتقاء وانه لا يصح الا الصحيح ولا يبقى الا الانسب رضينا او لم نرضَ. ومعرفة الصحيح او الانسب علم باصول لا يعرفه الا الله والراسخون في العلم وقليل منا هم. لا يرعكم ما ترونه من كثرة الآراء وتشعب المذاهب. لا يبقى من هذه الآراء الا الصحيح ولو قلت اشياعه. والصحيح لا يكون صحيحاً من اليوم الاول بل يكون صحيحاً جزءاً من الف اليوم وجزئين من الف غداً وثلاثة اجزاء من الف بعد غد وهكذا الى ان يستوفي نموه مع الزمان الطويل. اذا لم نكن شيئاً ولم نصر شيئاً فلم يبق امامنا الا المستقبل والمستقبل علمه عند الله. ولكن اسمحوا لي ان اقول كلمتي في هذا الموضوع

وان كنت لست من اهل الفلسفة او اساطين السياسة

بلادنا في دور تطور جديد فماذا نعمل؟ هل نتشبه باوربا في كل شيء فنجعل الشرق نسخة عن الغرب؟ وبعبارة اخرى هل نحول الشرق غرباً على خلاف ما قال شاعر الانكليز العصري كبلنغ «الشرق يبقى شرقاً والغرب غرباً». او نتمسك بشرقيتنا مع ادخال بعض اصلاحات عليها؟ ايها اسعد الغرب ام الشرق؟ لقد عنيت بهذا الموضوع قبل اليوم ولقد اتفق لي ما قلما يتفق لغيري من السفر الى اوربا واميركا والمعيشة فيهما والاختلاط بالناس من كل الطبقات. تعرفت باساتذة واطباء وعلماء وقسوس وضباط واشتغلت في المعامل وعرفت شيئاً كثيراً عن حالة المرأة فضلاً عما عرفته من احوال اوربا واميركا الروحية والعقلية من المطالعة مدة ربع قرن. فاذا جاز لي ان اقول كلمتي في هذا الموضوع فاني أرى ان الشرق اسعد حالاً من الغرب. ولست احاول ان اسرد الاسباب كبيرها وصغيرها واشبع الكلام على كل سبب فان ذلك مما يطول فيه الكلام ولا يتسع له المقام وانما استدعي انتباهكم الى ان هناك مسائل يجب ان ندرسها درساً مدققاً قبل ان نقبلها او نرفضها

نظرة اولى: — اذا درسنا احوال اوربا رأينا ان الفضل في كل ما نراه من مظاهر تمدنها وترقيتها راجع اكثره الى وسائط لا الى مبادئ. اذا انتشر الامن في اوربا فليس ذلك لان كل الاوربيين يحافظون على الامن من تلقاء انفسهم ولكن لان هناك وسائط تمنعهم من الاخلال بالامن. اذا انتشر العدل في اوربا فليس لان كل الاوربيين ميالون الى العدل من تلقاء انفسهم ولكن لان هناك وسائط تمنعهم من ان يخرجوا عن العدل.. يقولون لا رشوة في بلادنا لان المأمور عندنا يتقاضى معاشاً كبيراً لا يحتاج معه الى رشوة. لا فضل لكم في ذلك. اذا امتنع المأمور عندكم عن الرشوة فيجب ان يكون ذلك عن مبدأ سواء كان معاشه كبيراً او صغيراً والا ففي اول فرصة يشعر فيها ان معاشه لا يكفيه لا يتأخر عن ان يمدّ يده الى الرشوة. لا يكون الرقي رقياً الاّ اذا كان عن مبدأ. الوسائط قد تضمن الامن والعدل مثلاً ولكنها لا تجعل الامن والعدل خلقة في النفوس واننا نخشى في دورنا الجديد ان نقتبس الاساليب والوسائط فنجعل حياتنا حياة وسائط لا حياة مبادئ

نظرة اخرى: — التعليم في اوربا اجباري اي ان الاولاد يرسلون الى المدارس اجباراً ونفقات المدارس تجمع اجباراً ولذلك لم يكن بدّ من ان تكون في يد الحكومة. وهنا ضرران الاول ان الاجبار يفسد اخلاق الامة ويضع من قدر العلم. ولذلك عدلت مدارس قليلة من مدارس اوربا واميركا الراقية عن استعمال القصاصات والجوائز لانها رأت ان التلاميذ لا يتعلمون الا خوفاً من القصاص او رغبة في الجائزة لا لاجل العلم ذاته. فاذا خرجوا من المدرسة انقطعوا عن الدرس والمطالعة بتاتاً ولم يكن للعلم عندهم قيمة. اذا عرفت الامة العلم اقبلت عليه من تلقاء ذاتها واذا كان هناك فريق صغير لا يعرف قيمة العلم فيجب ان نشوقه اليه ونعرفه قيمته. واذا كان يعرف قيمة العلم ولكن هناك اسباباً اخرى تضطره الى ارسال اولاده الى العمل فيجب ان نزيل تلك الاسباب ذلك خير من ان نجبر الامة على الدرس اجباراً. ثم ان الاجبار يعود الناس ولا سيما الاغنياء منهم ان يكتفوا بدفع الضريبة. نعم نقرأ من وقت الى آخر ان المثري الفلاني وهب المدرسة الفلانية مبلغاً طائلاً ولكن لو رُفع قانون الاجبار لكثر عدد اولئك الذين يهبون المدارس المبالغ الطائلة من تلقاء انفسهم. هذا الضرر الاول واما الضرر الثاني فان التعليم اذا كان

في يد الحكومة فلا يؤمن ان تسيء استعماله كأن تضع البروغرامات التي توافقها وتربي الامة على المبادئ التي تخدم مصلحتها . كان التعليم في فرنسا في يد رجال الدين وكانوا يجمعون الاموال على طريق الهبات والاحسانات فلما رأت الحكومة ان التعليم اصبح آلة في يد الرهبان يستخدمونه لاغراضهم ومصالحهم انتزعت تلك الالة من يد الرهبان لتستعملها هي في سبيل اغراضها ومصالحها . على حين لا يجوز ان يكون العلم آلة في يد احد لئلا يساء استعماله . وهذا يحتمل كلاماً طويلاً اكتفي منه بما تقدم . وقد بقي هناك مواضع كثيرة في المدنية الاوربية تحتمل الانتقاد اضرب عن ذكرها لان ذلك يستغرق كتاباً برأسه وانما قصدت ان استدعي انتباهكم لان نكون حكماء فنأخذ من اوربا الاصلح والانسب ونترك سواه . على اني اكاد اعتقد اننا سيأخذنا التيار رضينا اولم نرض . واننا مهما اتخذنا من الاحتياطات فلا يدفع ذلك مقدوراً والله ولي الامر والسلام

حديث السجون

(تابع للصفحة ٢٥٨ من هذا الجزء)

وقد كان للفتنة التي نحن في صددها سبب ظاهر وهو كاف لاحداث هذه الفتنة . — هو تحرش اليهود بالمحتفلين . وهذا التحرش عمدي يقصدون به ولا شك اثارة الحرب القومية بين القومين لغايات لا يعلمها الا الله . وقد ظهر مثل هذا التحرش في اوقات واحوال كثيرة

فقد ظهر مثله في المظاهرة الاولى ورفع نواب الامة الامر للحكومة . ثم ظهر مثله ايضاً في المظاهرة الثانية وعرفت الحكومة بذلك . فكان الصهيونيون يندسون بين جماهير المتظاهرين وفيهم الرجال والنساء ويبدون علامات الازدراء والتهكم . وقد عزفوا بالمرش الصهيوني على مسمع من المتظاهرين ونشروا الراية الصهيونية واوعزوا الى اصحاب المخازن بعدم اقفالها في المظاهرة الاولى التي حدثت نهار الجمعة فلم يقفل التجار مخازنهم حتى الساعة الخامسة مساء وعادتهم ان يقفلوها بين الساعة الثانية والثالثة . ومعلوم ان تلك المظاهرات قد كثرت فيها الخطب الحماسية الموجهة كلها ضد الصهيونية . ومع ذلك لم يحدث والحمد لله ما يكدر . بينا نحن لا نتداخل في مظاهراتهم التي يقيمونها من وقت الى اخر ويخطبون فيها ويحمسون قدر ما يشاءون . لا يتعرض لهم الوطنيون بشيء ولا يتداخلون في شيء ولا يتقدم من الوطنيين احد للشهادة عليهم بشيء

ليس للخطب علاقة او شبه علاقة بكل ما حدث مهما اجتهد الصهيونيون في وصفها وتكييفها على ما يوافق هواهم . وانما السبب الحقيقي للفتنة هو تغلغل اليهود بكثرة بين جماهير المحتفلين وتعرض رجل يهودي لهم وهو بثياب العسكر الانكليزي ورجل يهودي اخر عرفه الناس الذين كانوا على مقربة منه . ولما كانت الحرب تضطرم من شرارة والشر العظيم اوله كلمة فقد حدث ما حدث . ولم يكن وقتئذ في ساحة باب الخليل من القوى العسكرية ما يمنع هذا الشر او يحصره في مكان واحد . وقد زاد الشر تفاقماً بعض الصهيونيين الذين ظهروا بالاثواب العسكرية الانكليزية واخذوا يطلقون العيارات النارية ويستخدمون ما كان لديهم من انواع السلاح . ولم يكن في ايدي الجمهور الوطني من السلاح الا الحجارة والعصي . والوقائع تؤيد ذلك

ان الشهود اليهود قد شهدوا علي افتراء وظهر للمحكمة

التناقض العظيم في كلامهم . وحسبي برهاناً على سقوط شهادتهم ان احدهم ادعى انني جعلت قبر محمد في القدس... مع ان كل انسان في هذه البلاد ولو كان طفلاً صغيراً يعرف ان قبر محمد هو في المدينة في الحجاز وليس في القدس في فلسطين. وادّعى آخر من هؤلاء الشهود باني قلت للجماهير انتم الان مجتمعون فاغتنموا هذه الفرصة وباشروا العمل ... ولكنه لم يبرهن للمحكمة لماذا لم يباشر المحتفلون هذا العمل بمجال فراغي من الخطاب بل انتظروا حتى فرغوا من تناول المرطبات وسمعوا بقية الخطب وذهبوا بعد ذلك ليتناولوا المرطبات في جمعية المنتدى الادبي ثم عادوا من هناك وانسلخ فريق منهم في طريق يافا ثم عادوا منها الى باب الخليل . ولم تبتدئ الحادثة الأ على باب صيدلية الخواجا خريستاكي اليوناني وذلك للسبب الذي اشرتُ اليه؟

لا اظن العقل يقبل شهادات ملفقة مثل هذه على رجل يخطب من شرفة عالية على جمهور كبير ويضع نفسه في ذلك المقام الأ ان يكون مجنوناً جنوناً مطبقاً يجب ارساله الى البيمارستان لا الى السجن . وانا والحمد لله لا ازال بعقلي. وفضلاً عن كل هذا فان هؤلاء الشهود كانوا حسب قولهم واقفين على مسافة نحو ثلاثين متراً او اكثر وبيني وبينهم ساحة كبيرة كانت تعج عجيجاً بالوف الخلائق التي كان ضجيجها يصمّ الاذان وكان يستحيل سماع كلامي على مدى اكثر من نصف تلك المسافة . ومع هذا فقد شهدوا بانهم سمعوا كلامي كلمةً كلمةً ووعوه .. ولكنهم – وهنا محل العجب الشديد – لا يقدرون ان يُعيدوا شيئاً منه باللغة العربية

ان الجمهور لم يكن من غايته الشر والشاهد على ذلك وجود المئات من النساء والاولاد والشيوخ في تلك الحفلة. ولو كان في النية اثارة الاضطراب لكان الناس انتظروا رجوع اخوانهم من زيارة النبي موسى ولكان وُجد جمهور غفير من القرى المجاورة ولكانت الاسلحة غير العصي والحجارة وتلك السيوف القليلة التي لا يمكن استخدامها الآ للعب. ومعلوم ان المظاهرات السابقة اجتمعت فيها الجماهير بما لا يحصى واشترك فيها المسلم والمسيحي حتى بلغ عدد المتظاهرين العشرين الفاً واكثر . فلو كان الشر ضالتنا لظهر ذلك الشر وقتئذ.

وقد ظهر من نتائج التحقيق ان اليهود كانوا يعدون المعدات ويتأهبون سراً للقتال بدليل وجود الاسلحة والقذائف بكثرة عندهم مما ضبطت بعضه الحكومة وعرفت ان القوم كانوا ينظمون امورهم ويتأهبون بطريقة تدريجية ويرسمون الخطة كما يرسمها ويُعدّها رجال الحرب . وقد جاءهم – كما ثبت للمحكمة – صناديق كثيرة من اميركا وسواها ملأى بالذخائر الحربية وكان مكتوباً عليها انها «برسم الاعاشة»... وقد ثبت ايضاً توزيع الاسلحة عليهم من قِبل رجال الجمعية الصهيونية قبل الحادثة بيوم او يومين وكثرت مخاطباتهم الرمزية بالاعلام من فوق سطوح بعض المنازل وغير ذلك . وكانوا ينتظرون الفرصة الملائمة ليفاجئوا الوطنيين بالشر ويظهروا في الوقت نفسه ان الوطنيين هم البادئون . غير ان الحكومة لم تجد في بيوت الوطنيين اسلحة ولا ثبت عليهم اقل تأهب للقتال

لم تكن المسألة مقصودة ايها السادة لانها لو كانت كذلك لاشتركت فيها على الاقل القرى التي يقطنها اليهود بين جماهير اكثر منهم كهرطوف وكولونية والخليل وخلده وابو شوشه وكفرورية وبيت عريف وسواها . فماذا يكون قد حلّ في تلك الجهات وامثالها لو كانت المسألة مقصودة ؟؟ ومع هذا فرغماً عما يظهره الصهيونيون من التحامل على

الوطنيين ورغماً عما تنشره جرائدهم من التهديد والوعيد ورغماً عما يصفون به الشعب من الهمجية فقد حافظ الوطنيون على جيرانهم كل المحافظة ولم يحدث سوء البتة ولا في قرية من تلك القرى

وقد ثبت ان اليهود شرعوا يتحرشون بالوطنيين على اثر المظاهرات السابقة كما ظهر ذلك من القضايا التي حكمت فيها المحاكم كتعدي بعضهم على ابن احد اشراف القدس وتعديهم على جنازة اسلامية وعلى بعض رجال البوليس الوطني وغير ذلك كثير فضلاً عما كانت تنشره جرائدهم من حين الى اخر من التهديد بطرد العرب من فلسطين او الاستيلاء عليهم وإذلال نفوسهم .

لا قبل لي بوصف الحادثة كما جرت في ٤ نيسان ولا وصف ما حدث بعد ذلك لاني لم أرَ شيئاً ولا اريد ان اصف شيئاً لم تره عيني وانما اقول وقولي حق اني بعد ان رأيت الجماهير قد سارت في طريق مأمن الله نزلت من دار النادي العربي الى مخزن الخواجا انطون نيكوديموس حيث اجتمعتُ (بعائلتي) واخذنا في شراء ما يلزمنا وبقينا في المخزن الى ان سمعنا بحدوث القتال واذا برجلين من اليهود قد دخلا علينا والذعر آخذ منهما كل مأخذ فآويناهما واقفلنا علينا جميعاً المخزن ولبثنا هكذا الى ان هدأت الحالة في ساحة باب الخليل فاخذت (عائلتي) وعدت بها الى منزلنا دون ان اعلم شيئاً من التفاصيل . ولكنني علمت الساعة الرابعة بعد الظهر ان الحاكم يدعوني لمقابلته فجئت الى دار الحكومة حالاً . والباقي تعرفونه حضراتكم

وقد اتُّهمتُ باني من الزعماء ومديري الحركة . مع ان للزعامة شروطاً لا ينطبق احدها عليَّ لاني لست من الاغنياء او الملاكين او من سكان هذه المدينة . ولست من مديري الحركة اذ لا يمكن ان تؤيد واقعة الحال هذه الادارة او القيادة . وليس لي اطلاع على شيء من مخابرات او مكاتبات سياسية تتعلق بهذا الموضوع . وليس مجرَّد الخطابة دليلاً على الزعامة او القيادة . فالخطابة عندنا شيء والزعامة شيء اخر . وليس بيني وبين اهل الخليل ونابلس الا صلة الادب فقط . وحياتي السابقة اكبر شاهد على كل ما قلت . واذا كان للحركة زعماء وقوَّاد سياسيون فهل يقف هؤلاء الزعماء على شرفة عالية ليراهم الكل ويسمع تحريضاتهم الكل وهناك جمهور كبير من رجال الدرك والبوليس والخصوم السياسيين ؟ ألا يكون من الحكمة ان يدبر هؤلاء الزعماء كل حركة في السر والخفاء دون ان يطلع على تدابيرهم احد ؟

وخطابي الذي القيته لم يكن الا ترحيباً محضاً وتهنئة وطنية محضة في عيد وطني خطب في مثله السنة الماضية الحاكم نفسه كما انه خطب في عدة حفلات وطنية مختلفة . ولم يكن هذا الاجتماع سياسياً بوجه من الوجوه . وانا لا اعدُّ كلامي فيه ذنباً ولا شبه ذنب ولذلك تروني واقفاً امامكم عالي الجبهة نقي الذمة لا ارهب احداً ولا اخشى سوءاً لاعتقادي بعدل المحكمة وضميرها الحي

هذه هي خلاصة دفاعي يا حضرة الرئيس ويا حضرات الاعضاء ولكم رأيكم الاعلى موفقاً الى الصواب ان شاء الله

***

وقام بعد ان فرغنا من الكلام السيد عبد الفتاح درويش فتلا دفاعه . ثم تكلم كلٌّ من المتهمين الآخرين بما حضره . ونهض بعد ذلك حضرة المحامي السيد حسن البديري وفاه بدفاعه القانوني فقال ما خلاصته :

ان الاتهام قد طُبق على المواد ٥٧ و٦٣ و٦٦ من قانون الجزاء ولكن ليس فيها ما ينطبق على واقعة الحال

فالمادة السابعة والخمسون يُشترط فيها ان تجتمع طائفة من الاشرار ويفعلوا معاً احدى المفاسد . فقولها يجتمعون ويفعلون معاً يبرئ ساحة حضرات المتهمين لانهم لم يرتكبوا جريمة كالقتل والنهب والاغارة ولم يشهد عليهم احد بذلك بل الكل متفق — وخصومهم مع هذا الكل — عَلَى تبرئتهم من الاشتراك في الفتنة فعلاً . ومعلوم ان هذه المادة مبنية على المادتين ٥٥ و٥٦ ولا علاقة لها بقضيتنا لان الاولى منهما وهي الخامسة والخمسون وُضعت بحق من يتطاولون على مقامات الملوك او يهينون الدول والسفراء او يحاولون تبديل القانون الاساسي . ولاشيء من كل ذلك في مسألتنا . والثانية تنصُّ على تسليح الاهالي وحضهم عَلَى القتال . وليس في قضيتنا تسليح ولا تحريض اذ لم يكن شيء من السلاح في ايدي الوطنيين فلم يكن من حاجة الى تحريضهم ولا سلاح في ايديهم يقاتلون به

والمادة الثانية والستون تنص على الجمعيات التي تتسلَّح وتتألف خصيصاً لضبط الاموال والنهب والاغارة وتعمل كل ذلك باوامر رؤسائها . فهل في قضيتنا ما يشبه ذلك ؟ وهل يمكن ان يصدَّق عن هذا الجمهور الذي احتشد من جهات شتى انه يؤلف جمعيةً كهذه غرضها ايقاظ الفتنة وايقاد نار القتال؟ واذا كان ذلك صحيحاً فاين هي هذه الجمعية ومن هم رؤساؤها واعضاؤها ؟

وليس للمادة الاخيرة وهي السادسة والستون تعلق بما نُسب الى المتَّهمين . حتى ان ذيلها الاخير وهو ما يمكن ان يُظنَّ قربه من حادثتنا — لا ينطبق ايضاً على التهمة . فان من شروط الخطب المشار اليها فيه ان تكون محرّضة للناس على الاعتداء بعضهم على بعض ولم يفه احد من المتَّهمين بشيء من هذا ولاسمع احد منهم ما يدل على تحريض الناس عَلَى القتل والنهب وغير ذلك حتى ان خصومهم ايضاً يعترفون بذلك .

واني اوجه انتباه حضراتكم (يريد رئيس المحكمة واعضاءها) الى منشور الجنرال بولز (المدير العام) الذي يقول فيه بصراحة انه أرسل المتَّهمين للمحاكمة كافراد وليس كرؤساء او زعماء وانه لا يرى في كل الحادثة عملاً سياسياً

واستطرد المحامي بعد ذلك الى تفصيل ما أجمله بكلام طويل كله حقائق ثابتة وطلب اخيراً اطلاق سراح المتَّهمين

وعقبه المدعي العام فتلا اتهامه وطلب من المحكمة معاقبة المتهمين باشدّ ما لديها ومما قاله لاثبات الجرم: ان البلاد الان في ايدينا ونحن نديرها بمعرفتنا ولنا ان نغير ونبدّل في القوانين التركية عَلَى ما نراه مناسباً وضرورياً واذا حدث إخلال ما ففي امكاننا تلافيه وليس كما ذكر خليل بيدس ان من واجب الحكومة ان تحتاط للامر قبل وقوعه وتسوق القوى المسلحة الكافية لذلك

ولما فرغ خرج المتهمون والمحامي والمدعي العام واختلت المحكمة للمذاكرة . وبعد نحو نصف ساعة استدعت ثلاثة من رفاقنا وهم السادة كامل البديري والشيخ حسن ابو السعود وعبد اللطيف الحسيني وأعلنت براءتهم . واعادتنا نحن وعبد الفتاح افندي درويش الى السجن دون ان تبلغنا الحكم . ولبثنا اربعة ايام بعد ذلك في حالة الغموض نذهب الى دار الحكومة ثم نعود منها الى السجن مخفورين في الذهاب والاياب دون ان تعلن لنا المحكمة شيئاً . فظننَّا ان الحكومة ستكتفي بسوقنا على هذه الصورة بضعة ايام اخرى ثم تطلق سراحنا . غير ان ظننا لم يكن في محله فقد صدر الحكم اخيراً وأعلنه لنا مدير البوليس الكبتن هوس في ساحة السجن في القدس وهو ان المحكمة قد حكمت على كل منا بالحبس سنتين ودفع غرامة مالية قدرها عشرون جنيهاً واعتبرت الجرم سياسياً وصادق عليه قائد الفرقة الثالثة من الجيش

وكانت المحكمة قبل اصدار حكمها علينا قد حكمت على

واحد وعشرين صهيونياً فحكمت على زعيمهم الخواجا جابوتنسكي بالحبس خمس عشرة سنة وعلى كلٍ من رفاقه بثلاث سنوات مع الاشغال الشاقة للجميع وذلك لانهم استخدموا السلاح وقادوا الجماعات للكفاح وفعلوا غير ذلك مما لا نتعرَّض له . وكانت الحكومة قد نقلتهم الى سجن عكا ثم لم تلبث ان خفضت مدة الحكم عليهم فجعلتها سنةً لجابوتنسكي وستة اشهر لكل من رفاقه

* * *

لبثنا في سجن القدس من ٣٠ نيسان الى ١٩ ايار وكنا في غرفة خاصة جُعل لنا فيها سريران وسُمح لنا بالاكل على نفقتنا وارتداء ثيابنا الخاصة (لا اثواب السجن) وزيارة الاهل والاصدقاء لنا وانارة الغرفة ليلاً ومطالعة الجرائد والكتب التي كانت ترد لنا بشرط ان يجيزها قلم المراقبة في السجن . وكان يزورنا مفتش السجن ومديره وطبيبه ومعاون مديره ويُعنون براحتنا . وكانت الامة في القدس وجوارها قد اهتمت جداً الاهتمام للامر فكتبت العرائض الى اللورد اللنبي والمدير العام في التماس الافراج عنا واحتجت على الحكم علينا . وكان المدير العام الجنرال بولز والكولونيل ستورس حاكم القدس والكولونيل ولترز تيلرز معاون المدير العام يطمئنون الناس وعيالنا بالفرج القريب . وقد سعى في سبيلنا سعياً مشكوراً كلٌّ من غبطة البطريرك داميانوس وسيادة المطران ماكنز رئيس الاسقفية الانكليزية في الشرق ومدامته الفاضلة ووكيله الكنن ودي رئيس الكلية الانكليزية في القدس ومدام الكولونيل ولترز تيلرز والسيدة المحترمة المس وربرتن رئيسة الكلية الانكليزية للبنات في القدس والمستر رينولدز رئيس مدرسة القديس جرجس الانكليزية في القدس وحضرة صاحب الفضيلة السيد محمد كامل الحسيني مفتي الديار القدسية وكل من اصحاب السعادة موسى كاظم باشا الحسيني رئيس البلدية السابق وعارف باشا الدجاني رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس وراغب بك النشاشيبي رئيس البلدية الحالي وجميل بك الحسيني رئيس جمعية المنتدى الادبي و يعقوب افندي فرَّاج رئيس جمعية الاخاء الارثوذكسي والشيخ الاستاذ محمد افندي الصالح رئيس مدرسة روضة المعارف والياس افندي مشبك والسيد حسن البديري وابرهيم افندي الشماس و بولس افندي سعيد وداود افندي دعدس سكرتير مطران الانكليز في القدس . واخذت الصحف الوطنية تدافع عن حقوقنا ـ نخص بالذكر منها جريدة القدس الشريف لصاحبها الاديب حسن افندي صدقي الدجاني وجريدة الكرمل لصاحبها الفاضل نجيب افندي نصار وجرائد سوريا باسرها

* * *

كان همنا في سجن القدس ـ في اول المدة ـ ان نعد الايام ونكتب المفكرات ونتنسَّم الاخبار . ثم عدلنا عن حساب الايام لان المدة كانت طويلة جداً يستحيل علينا اتمامها وكان كل يوم في نظرنا شهراً لا ندري كيف نقضيه . ومما زاد في سآمتنا اننا حُرمنا النوم فلم يكن للكرى سبيل الى اجفاننا الاّ سويعات ننامها في اواخر الليل بعد كل جهد وعناء . وكم ليلة قضيناها أرقاً حتى الصباح ونحن نسير في غرفتنا نعد خطواتنا ثم نعدل عن ذلك بعد ان نبلغ الالف في العد . .

اما الاخبار فكنا نتوق الى ما كان منها متعلقاً بقضيتنا فلم يكن يأتينا زائر الاّ ويقول انكما لا تلبثان ان تخرجا . . وانه سمع ذلك من الحاكم نفسه . . وكثيراً ما كانت هذه الاخبار تصدر منا اولاً لبعض الاصدقاء ولكنها كانت لا تلبث ان تعود الينا كأنها منقولة عن لسان رجال الحكومة انفسهم . وما

زلنا على مثل ذلك حتى سئمنا الاخبار وصرنا نسأل كل صديق يزورنا ان لا يطمئننا شيئاً لاننا آلينا على انفسنا ان نقيم المدة كلها في السجن ولا نريد عفواً

واتفق ان قريباً لنا جاء يوماً وقال: سمعتُ انكما سترسلان الى سجن عكا — الى حيث أُرسل الصهيونيون قبلكما — وقد سمعتُ ذلك من ثقة من رجال الحكومة · وبعد هذا بعشرة ايام جاء صديق وقال: سمعت انه قد عُفي عنكما وانكما ستخرجان غداً · ولكن ما جاء هذا الغد حتى جاءنا مدير السجن وقال: هيّئا انفسكما لانكما ستخرجان بعد قليل · فتبادر الى ذهننا لاول وهلة ان العفو قد صدر وقُضي الامر · ولكن بعد نحو نصف ساعة عاد المدير الينا وقال: هيا بنا فالعربات تنتظركما · نخرجنا واذا بعربتين تنتظراننا على باب السجن وبازائهما اربعة جنود بسلاحهم · وكان مفتش السجن واقفاً في الباب فقال: انكما ستسافران الان في القطار الى حيث صدر الامر باعتقالكما · فاحتججنا على هذه المعاملة وقلنا: كان يجب ان تُشعرونا بذلك قبل الان بساعتين على الاقل لنتمكن من مشاهدة اهلنا وتوديعهم · قال: هكذا الامر · قلنا: ونحن رهينا كل امر منكم يا سيدي فلا حول ولا قوة الاّ بالله

وكان ذلك النهار (١٩ ايار) موعد مجيء عيالنا لزيارتنا · فشق علينا ان يأتوا ولا يجدونا · وقد علمنا بعد ذلك انهم جاؤوا · · ثم عادوا الى منزلهم وهم في اشد حالات الحزن والبكاء وقضوا نهارهم والليل التالي بعده وهم حيارى في امرهم سكارى من شدة الغم والكآبة

ركبنا العربتين وسرنا الى المحطة دون ان يعلم الشعب بسفرنا الاّ صديقين احدهما بولس افندي سعيد وكان واقفاً في باب مكتبته فأبصرنا وهبّ يجري وراءنا حتى بلغ المحطة وعلم بوجهتنا · وكنا قد استطلعنا ذلك من الجنود الذين كانوا يخفروننا · والآخر مصطفى افندي حسن مختار قرية بتّير وصهر رفيقنا عبد الفتاح افندي رآنا في العربتين والخفرآء من حولنا فتبعنا ولم يفارقنا حتى بلغنا عكاء وقد اقام معنا بضعة ايام قضى لنا فيها كل ما كنا في حاجة اليه

ركبنا القطار من القدس وكانت الحكومة قد امرت لنا بمركبة من مركبات الدرجة الثانية فيه وكان الجنود الذين معنا على جانب عظيم من الحشمة والادب فأنسنا بهم وأنسوا بنا كل مدة السفر ولما وصلنا اللد نزلنا من القطار وكانت وجهته القطر المصري ووقفنا ننتظر قطاراً آخر وجهته حيفاء · وفي اثناء هذا الانتظار بصر بنا ثلاثة من رجال البوليس الانكليزي فتقدموا الينا يريدون تفتيشنا فامتنعنا عليهم وقلنا لهم: اننا خارجان من سجن وذاهبان الى سجن آخر ومعنا خفرآء فباي حق تريدون تفتيشنا؟ فلم يبالوا بكلامنا بل اصرّوا على التفتيش وتهددونا · فأصررنا نحن على الامتناع وقلنا لهم: انكم لن تفتشونا وفينا رمق واذا أبيتم الاّ التفتيش فهيا بنا الى دار الحكومة وهناك فقط تستطيعون ان تفتشونا اذا امر الحاكم بذلك · وانّا لفي مثل هذا الجدال واذا بالكبتن هوس مدير بوليس القدس (وكان في جملة ركاب القطار) قد خرج فدعوناه وشكونا اليه الامر وسألناه ان يستعلم عن اسماء هؤلاء الرجال ويرفع امرهم الى الحكومة في القدس · فوعد وأنجز كما علمنا ذلك بعد حين وقد اظهر كل مروءة وشمم وعاد رجال البوليس وهم يحرقون الارّم · والظاهر انهم كانوا مدفوعين الى ما عملوه او الى ما ارادوا ان يعملوه من بعض اصدقائهم · · وكم كنا نودّ لو سُمح لنا وقتئذٍ بمقابلة حاكم اللد واطلاعه على ما جرى · وبعد هذه الحادثة جاء القطار فركبناه ونحن نلوم الخفراء لانهم سمحوا لرجال البوليس بالتعرض لنا وهم يعتذرون وقد شعروا بخطإهم

* * *

وصلنا حيفا مساء وسرنا في صحبة الخفراء الى السجن حيث قابلنا الكبتن ستيورت مدير البوليس وأظهر كل لطف ومروءة . ومـا سمع الاصدقاء في حيفا بقدومنا حتى هرعوا لمقابلتنا من كل حدب وفي مقدمتهم الوجهاء الافاضل السادة اسكندر كسّاب وفضول دبيز وغبريل سعد ونجيب نصار وجمهور كبير غيرهم من الادباء واهل الحمية والغيرة . ولبثنا في سجن حيفـا الى الصباح لم نذق فيه طعم الكرى وقد زارنا الكبتن ستيورت في تلك الليلة اربع مرات ومعه بعض الاصدقاء وفي جملتهم شوقي افندي سعـد قومندان البوليس والجندرمـة في حيفا . ولما اصبحنا جيء لنا بالعربات فأقلّتنا والخفراء الاربعة الى المحطة ومنها اقلّنا القطار الى عكا . وقد رافقنا في الطريق القس صالح سابا من حيفا ومعه قس انكليزي وكانا متأثرين لحالتنا فلم يتركانا حتى بلغنـا السجن وراحا هما يسعيان هنا وهناك — بدون ان نعلم — لمساعدتنا والتخفيف عنا . غير ان تعليمات حكومـة القدس كانت قد وصلت الى حاكم عكا فلم يبق سبيل لبذل شيء من المساعي . وبعد ان بلغنا السجن بساعة اقبل حضرة الاريحي الفاضل محمود بك قومندان البوليس والجندرمـة ومدير السجن فقابلنا بكل بشاشة وامر باعداد غرفة نظيفة لنا وتجهيزها بكل ما يلزم من الاسرّة والطاولات والكراسي والنور وغير ذلك فشكرنا له مروءته واخذنا من ذلك الحين نعيش في عكا

وفي اليوم التالي زارنا حاكم عكا الكبتن لويك واعطى التعليمات اللازمة للاهتمام بنا وتوفير اسباب راحتنا وسرورنا . ثم زارنا وفد من اشراف حيفا وكبرائها وفي جملتهم السادة فؤاد بك سعد وابو الخير الموقع وابرهيم بك الخليل واخوته ورشيد الحاج ابرهيم وفيكتور خياط وغيرهم ومعهم حاكم حيفا الكـولونيل ستنتون باشا وحاكم عكا . وقـد سمح الحاكم وقتئذٍ ببضع ساعات نقضيها في النزهة كل يوم خارج السجن وبعضها على شاطىء البحر وكان ذلك افضل ما جادوا بـه علينا ونحن في السجن . وصرنا من ذلك الحين نخرج كل يوم صباحاً الى حديقة السجن والعصر الى البحر . وكنا نظن ان هذه النزهـة ستجلب النوم الى اجفاننـا غير ان املنا هذا لم يتحقق وقد طار النوم من عيوننا حتى نُهكت قوانا واصابتنا حمّى شديدة لازمتنا اياماً واظهر لنا النطاسيان الفاضلان الدكتور داود افندي بولس والدكتور فؤاد افندي كل عناية ولطف

وكانت الحكومـة قد اباحت لـلاهالي زيارتنا فكانوا يترددون علينا من حيفا وعكا وجهات القدس جماعات جماعات وقد خفّف ذلك عنا وطأة السجن وأزال من نفوسنا كل ضجر وصار النهار قصيراً جداً بالنسبة الى ما كنا عليه قبلاً غير ان الليل بقي ليلاً وكان لنا جحيماً متقداً . .

ومما نذكره بالشكر والامتنان زيارة صاحب الفضيلة السيد محمد مراد مفتي حيفا ايانا وتردده علينا مع غيره من وجهاء حيفا وتردد افاضل عكا وادبائها بلا انقطاع واهتمام السيد الكبير صاحب السماحة عباس افندي وسيادة المطران غريغوريوس حجار وكل من صاحبي الفضيلة السيد عبد الله الجزار مفتي عكا والاستاذ الشيخ اسعد افندي الشقيري وغيرهم من الوجهاء والاصدقاء الذين لا يتسع هذا المجال لتسطير اسمائهم الكريمة فنكتفي بتسطير آيات الشكر لحضراتهم على هذه الاريحية وهذا الفضل العظيم

وكانت الحكومة المحلية تظهر لنا لطفها وعنايتها على الدوام وكان الحكام يزوروننا كل اسبوع مرة ومرتين نخص بالذكر منهم سعادة الكولونيل ستنتون باشا حاكم حيفا والكبتن لويك حاكم عكا والكبتن ستيورت مدير بوليس منطقة حيفا وعكا والملازم داي معاون حاكم عكا ونائبه والملازم اندروس وكيله

وكل من اتصل بهم من الموظفين الوطنيين . وكان مأمورو السجن باسرهم يعاملوننا احسن معاملة ويتسابقون الى توفير اسباب راحتنا. فنحن نشكر الجميع ولن ننسى هذا الادب الجم وتلك الحمية الوطنية

(تتمة الحديث في غير هذا الموضع من هذا الجزء)

الوارث

« تابع للصفحة ٢٦٤ من هذا الجزء »

قال هذا واختلى براحاب وقال لها — ان عزيزاً راض بمشترى الاثاث بخمسمئة جنيه بشرط ان تقبلي منه صكاً بالقيمة لمدة ستة اشهر وهو كما يجب ان تعلمي الوريث الوحيد لاحد اكابر التجار

قالت — ولكن المدة طويلة وهذا يصعب علي كثيراً

قال — ولكنك لن تجدي من يشتري هذا الاثاث بهذه القيمة لانه لا يُثمن باكثر من ثلاثمئة جنيه

قالت — هو كما تقول وبهذه القيمة اشتريته انا

قال — فاذا كان هذا سعره فلماذا لا تبيعينه بخمسمئة وغداً تشترين غيره لمثل هذه الصدفة؟

قالت — ولكن من اين لي ان أشتري اثاثاً آخر ان لم آخذ ثمن هذا؟

قال — واذا دفعت انا اليك القيمة فهل ترضين باربعمئة جنيه ؟

قالت — نعم

قال — تظاهري اذاً بالقبول بالبيع ديناً لمدة ثلاثة اشهر فقط فيكتب لك عزيز صكاً بخمسمئة جنيه وانا آخذ منك هذا الصك هذا النهار وادفع لك اربعمئة

قالت — ليكن ما تريد

فنادى ناثان عزيزاً وقال له — قد رضيت السيدة راحاب بان تبيعك هذا الاثاث بمبلغ خمسمئة جنيه بشرط ان تكتب لها صكاً لمدة ثلاثة اشهر وتضيف الى المبلغ ثلاثين جنيهاً رباً

فرضي عزيز بالشرط وكتب الصك المطلوب ثم اخذ وصلاً بالاثاث وقال لراحاب — سأرسل غداً من ينقل هذا الاثاث من هنا الى المنزل المعد له

* * *

وانطلق عزيز وناثان من منزل راحاب الى مخزن احد الجوهريين واسمه حايم فابتاع عزيز منه عقداً من الالماس جميلاً بمبلغ تسعين جنيهاً وكتب له صكاً بمثله لمدة سبعة اشهر . وابتاع ناثان لحظيته سارة عقداً صغيراً من الانواع الرخيصة ولكنه لم يدفع شيئاً بل وعد امام عزيز بدفع الثمن في فرصة اخرى

وكان المطلوب لناثان من عزيز عمالةً (كومسيونا) قد بلغ هذين اليومين نحو المئة جنيه فطلبها ناثان بدعوى انه في امس الحاجة الى المال

فقال عزيز — ولكني اذا نقدتك هذا المبلغ لا يبقى لدي شيء ولا لاجرة المنزل الجديد لاستير فنضطر ان نستدين من جديد

قال — وانا مستعد لخدمتك في كل وقت . وقد عرفت هذين اليومين تاجراً من كبار تجار الاواني الزجاجية وفهمت انه يروم بيعها كلها صفقةً واحدة

قال — وما غرضنا من هذه الاواني ؟

قال — نشتريها من هذا التاجر ديناً ثم نبيعها لغيره نقداً فيكون لنا مطلوبنا من المال

قال — وهل يمكن ان يتم ذلك في يومين او ثلاثة؟

قال — وفي اقل من ذلك اذا شئت

قال — حسن فيجب ان نبتاع من هذه الاواني بنحو ستمئة او سبعمئة جنيه . وباليتك تقوم انت بكل هذا العمل فتشتري ثم تبيع وتأتيني اخيراً بالمال فأكتب لك صكاً بالقيمة

فاطرق ناثان مفكراً ثم رفع رأسه وقال — وعدتك باخلاص الخدمة فلم يعد يسعني ان اتأخر عن قضاء كل امر تعهد به الي . فسأبتاع المقدار اللازم من الاواني ثم ابيعها واجتهد ان لا تكون الخسارة التي ستلحقك من جراء ذلك اكثر من عشرين في المئة

قال — لا بأس فانا واثق بك كل الثقة ودعني اذهب الان فاقابل استير ثم اعود الى المنزل لاني عزمت ان لا أغيب هذا المساء عن عمي وهو في حالته الحاضرة لئلا يفور غضبه علي فيحرمني الميراث

قال — حسناً تفعل واجتهد ان تكون عند حسن ظنه بك لئلا يعود ذلك بالوبال علينا جميعاً

ثم نهض عزيز واخذ عربة اقلّته الى منزل استير حيث قابل الحبيبة وقدَّم اليها العقد واخبرها باستئجار العربة وشراء الاثاث الجديد. وكان سرور استير بكل ذلك عظيماً فضمت عزيزاً الى صدرها والقت رأسها على كتفه واخذت تمازحه وتداعبه بغنج ودلال نسي معها كل تعب وعناء

ولما نهض يريد الخروج قالت له استير — ومتى عزمت ان تنقل الاثاث الجديد و كيف ؟

فقال — حقاً اني نسيت . فقد اشتريت الاثاث وانا عازم على نقله الى منزل لك جديد يكون أرحب من هذا واجمل وليس لي متسع من الوقت لتدبير كل هذا الامر لاني مضطر ان اعود الان الى المنزل لمقابلة عمي وقضاء السهرة عنده

قالت — اذا كان هذا هو العائق فان عمتي تقوم بتدبير الامر على ما يرام فهي تبحث لي عن المنزل الجديد وتهتم بنقل الاثاث اليه

قال — حسن فلتباشر اهتمامها منذ الساعة

قال هذا ونادى راحيل فدفع اليها كل ما بقي لديه من المال واعطاها عنوان راحاب بائعة الاثاث ثم نهض فودع وانصرف وهو يتنهد ويقول لاستير — الى الملتقى غداً ايتها المفداة

١٠

ولما بلغ عزيز منزله استقبلته زوجة عمه بوجه يطفح سروراً وقالت — ان عمك اليوم قد قضى نهاره في عافية ونشاط . وقد علمتُ انه كان ساخطاً عليك في الصباح ولكنه عاد فراجع نفسه والظاهر انه ندم على فعل فقال لي — متى جاء عزيز اليوم مساء أرسليه اليَّ في الحال

فاستبشر عزيز خيراً وقال — سأنطلق اذاً لمقابلته الان

وسار بعد ذلك الى مخدع عمه . ثم دخل المخدع والسرور آخذ منه كل مأخذ . وكان الشيخ مستوياً في سريره ونجلاء جالسة على كرسي بازائه تقرأ له بعض الصحف اليومية . وهو يسمع اخبار تلك الصحف بمزيد انتباه . وكانت كلها طافحة باخبار الحرب التي اضطرمت بين روسيا والمانيا وبين النمسا والمانيا وفرنسا وزحف الجيوش الالمانية على تخوم فرنسا وتعديها على البلجيك وخرق حيادها واعلان انكلترا الحرب على المانيا

فلما دخل عزيز بشَّ الشيخ في وجهه وقال — يظهر ان الله اراد ان يطيل في ايامي لاشهد اعظم حرب نشبت في العالم . وقد صدق حدسي يوم قلتُ لك ان اوربا كلها ستشتبك بعضها مع بعض في هذه الحرب الكونية . ولكني لم أكن أتوقع من المانيا ان لا تراعي حياد البلجيك وتخالف بذلك نصوص القانون الدولي . فقد قررت الدول والمانيا في جملتها استقلال هذه المملكة وحيادها بموجب معاهدة كُتبت منذ اكثر من ثمانين سنة . ومن نصوص هذه المعاهدة انه لايجوز لدولة ان تغزو البلجيك ولا ان تهاجمها ولا ان تجعلها طريقاً لجيوشها . وقد جُددت هذه المعاهدة غير مرة ووقَّعتها المانيا كما وقعتها انكلترا وفرنسا

قال — وهل تظن ياعماه ان البلجيكيين يستطيعون ان يثبتوا طويلاً امام جحافل الالمان الهائلة ؟

قال — انهم لا يثبتون طويلاً ولكنهم سيقاومون الالمان اشد مقاومة ويخدمون بذلك فرنسا اجلّ خدمة

قال — ولكن المانيا ستنتقم منهم بلا رحمة ولا شفقة

قال — نعم وقد تجعل بلادهم قاعاً صفصفاً ولكنهم سيدافعون عن استقلالهم الى اخر رمق

قال — ولماذا لا تزحف الجيوش الفرنسوية والانكليزية الى بلجكا لنجدتها وإمدادها قبل ان يحلّ بها الخراب ؟

قال — اما فرنسا فلانها تخشى ان تفصل جيوشها بعضها عن بعض قبل ان تتم تعبئتها لئلا يتمكن الالمان من مهاجمتها وسحقها واحداً بعد واحد . ولذلك فستكون خطتها ابقاء جيوشها متضامة ولو ادّت هذه الخطة الى ترك الاعداء يجتاحون بلجكا ثم الاراضي الفرنسوية الشمالية الغنية بمعاملها ومناجمها ويخربونها على هواهم . واما انكلترا فلا يُنتظر منها ان تساعد بلجكا او فرنسا بالجيوش البرية الاَّ بعد حين لان تعبئتها بطيئة ولا جيش برّي كبير لديها . ولكنها ستقوم باعظم خدمة لحلفائها باسطولها الضخم وها هي قد سدّت الان في وجه المانيا كل طريق في البحر ولا تلبث ان تحصرها حصراً تاماً يعزلها عن العالم باسره ويؤول اخيراً الى القضاء عليها القضاء المبرم ومن يعش يرَ

***

وكانت نجلاء تصغي الى هذا الحديث باهتمام وحانت من الشيخ التفاتة اليها فضحك وقال — لقد استرسلنا في السياسة الى ما يمكن ان يضجرك يا بنية فاذهبي الى والدتك ولا تعودي الى هنا الاَّ اذا دعوتك.

ولما خرجت التفت نعمان الى عزيز وقال — دعنا الان من الحرب واخبارها

وهات نتحدث قليلاً في موضوع سياستنا نحن . فكيف احوال المحل ؟

فقال عزيز — انها ليست الان على ما يرام يا عماه لان الحرب قد اثرت على الاعمال عموماً تأثيراً سيئاً

قال — لا ريب في ذلك وانت قد زدتَ في هذا التأثير على محلنا بنوع خاص فزدت في سوء حاله

قال — لا تسيء الظن بي يا عماه الى هذا الحد

قال — وانت لا تحاول اقناعي بغير الواقع . فقد ثبت لي الان انك على غير هدى من امرك واذا لم تكبح جماح نفسك فانك لا تلبث ان تسقط سقوطاً لا قيام بعده . وقد اظهرتُ لك صباحاً اسفي وكدري ثم عدتُ الى نفسي وتأملت طويلاً في حالتك فلم ارَ دواء لك الا الزواج ففيه فقط نجاتك مما انت فيه من الجهل والزيغ . وفضلاً عن ذلك فانا اريد ان افرح بك قبل ان تغيب شمس حياتي من هذا الوجود وقد اصبحت ايامي معدودة كما ترى

فوجم عزيز لدى سماعه هذا الكلام وقال — ولكني لا اميل الى الزواج الان يا عماه وليس من موجب لذلك لانك في عافية والحمد لله وستحيا طويلاً

قال — الموت والحياة في يد الله غير اني اشعر بقرب الاجل وقد صممت على تزويجك واخترت لك الزوجة التي يجب ان تكون شريكة لحياتك ولا يثنيني شيء عن هذا العزم

فتنهد عزيز وقال — ومن تكون هذه الشريكة يا عماه ؟

قال — هي نجلاء . نعم هي ابنتي نجلاء . وانت لا تجهل شدة محبتي لها ورغبتي في هنائها . وليس لي من امنية الان الا ان اراها واياك سعيدين قبل ان افارق هذه الدنيا

ولم يكن عزيز مترقباً لمثل هذا الكلام وقد شعر كأنَّ صاعقة نزلت على قمة رأسه فامتقع وقال وهو يتلجلج — ولكن كيف تريد ان اتزوج بنجلاء وهي ابنة عمي ؟

قال — لست انت الاول ولا الاخير من مئات والوف الرجال الذين يتزوجون ببنات اعمامهم . وفضلاً عن ذلك فان اكثر الناس لا يعرفون انها ابنتي

قال — يكفي ان اعرف انا وتعرف هي ذلك

قال — ويجب ان تعرف ايضاً اني مصمم على زفاف نجلاء اليك فلا تقف في طريق ارادتي والا فلا ابث ان اكتب وصيتي واحرمك ميراثي وأجعله كله لها ولولدتها . اما اذا صدعت بامري واقترنت بنجلاء فلن يكون غيرك وريثي

قال — لا يمكن ان يكون هذا يا عماه

قال — ولمَ ذاك ؟ افلا تعجبك نجلاء بجمالها وآدابها؟

قال — بل هي آية الجمال والادب ولا عيب فيها البتة ولكني احب سواها

قال — ويجب ان تقطع كل صلة لك بسواها

قال — لا يمكن ذلك يا عماه لان التي احبها لا يمكن ان يفصلني عنها شيء من القوات البشرية وانا لا اجد من نفسي ميلاً الى سواها ولا سكوناً الى غيرها

قال — ومَن تكون هذه الحسناء التي تيمتك الى هذا الحد

قال — هي استير . هي الممثلة استير الشهيرة

وما كاد عزيز ينطق بهذا الكلام حتى ارتعد الشيخ من الغضب وقال — اخرس ايها الشقي واياك ان تذكر امامي اسم هذه الفاجرة .. وهل بلغ منك الجهل ان تهيم في حب الممثلات وبنات الهوى وتتمرغ في اوحال امثال هذه المعايب والنقائص ؟

قال — رحماك يا عماه ! فلا تكن قاسياً الى هذا الحد

قال — وانت لا تكن عاصياً وعقوقاً .. وقد اخبرتك الان بما أجمعتُ عليه فلن اعود عن عزمي . فإما ان تقترن بنجلاء وتنبذ من قلبك حب تلك الغانية او تخرج من هذا المنزل الى حيث تريد وتقطع كل علاقة لك بي .. اخرج الان من هنا وأعطني الجواب النهائي غداً مساء ولا تطمع في رضاي عنك بغير ذلك .

فخرج عزيز والدمع ملء عينيه وذهب تواً الى غرفته وقد كثرت هواجسه واحاطت به جيوش الهموم ولم يأخذه نوم ولا قرار حتى الصباح



١١

ما انبثق فجر اليوم التالي حتى كان عزيز على باب منزل استير وقد فتحت له راحيل وسألته متعجبة — ماذا جرى حتى اتيت في مثل هذا الوقت ؟ فهل مات عمك ؟

فقال عزيز — كلاَّ لم يمت . وانما جئتُ الان لأرى استير لامر خطير جداً لا يحتمل التأجيل

قالت — ولكن استير لا تزال نائمة

قال — لابدَّ من ايقاظها

ثم دخل الى مخدع استير فرآها نائمة وغدائرها الجميلة مدلاة على كتفيها كانها كفاف من المسك لذلك الوجه المنير . فجثا على قدميه عند السرير واخذ يدها وقبلها . ثم انحنى عليها يريد ان يقبلها في خدها فأفاقت استير مذعورة ولما رأت عزيزاً ثاب اليها روعها وقالت — وما الذي جاء بك الان الى هنا ؟ دعني آخذ نصيبي من الراحة ولا تزعجني

فقاطعها عزيز قائلاً — عفواً ايتها الحبيبة فقد حدث ما اضطرَّني الى ذلك

قالت — يظهر ان الشيخ قد مات وجئت تبشرني بذلك

قال — لا انه لم يمت وانما حدث ما لم يكن في الحسبان وما لا يمكن ان يخطر في بال انسان

قالت — وما ذاك ؟ اخبرني بجلية الامر

قال — ان عمي يريد ان يزوجني

قالت — وكيف يكون هذا الزواج وهو على فراش الموت ؟ يظهر ان الشيخ قد اختلَّ عقله

قال — ولو علمت بمن يريد ان يزوجني لطار عقلك من الدهش

قالت — بمن ؟

قال — بابنته ، بنجلاء . وانا لا أستطيع ان أطيق هذه المخلوقة ولا والدتها . وقد تهدَّدني بالطرد والحرمان اذا انا لم أصدع بامره . وهو يطلب جوابي اليوم مساء . فجئتُ اليكِ لأرى رأيك لاني اوثر الموت على الانفصال عنكِ

قال ذلك وشرق بدمعه . فضحكت استير ونهضت من سريرها وهي تقول — ولمَ البكاء ايها الطفل ؟ ان عمك يريد ان يزفَّ اليك ابنته فلا تمانع وليكن جوابك بالقبول

قال — وانتِ تقولين لي هذا ايضاً ؟

قالت — نعم . لانك اذا خالفت امره يحرمك تركته كلها وحينئذٍ فما فائدتي منك وانت صفر اليدين ؟ نعم اني احبك بكل ما في جوارحي من قوة الحب ولا اوثر عليك احداً . ولكن كيف تكون حالتي اذا اصبح حبيبي فقيراً وليس في طاقته ان يقوم بنفقاتي ؟ اما اذا تزوجت فانك تصبح غنياً فيزداد حبي لك . ولا ترهب هذا الزواج فسأكون لك وانت متزوج كما كنت لك وانت عزب بلا فرق بين الحالتين لان الزواج الان لا يقيد الرجل بزوجته اذا كان له خليلة يحبها

فشعر عزيز لدى سماعه هذا الكلام كأن حملاً ثقيلاً ازيح عن عاتقه فضمَّ استير الى صدره وقال — فانت تشيرين عليَّ اذاً ان ارضى بهذا الزواج

قالت — نعم

قال — وانا سأتزوج ارضاءً لك فقط لاني لا اروم سواك في هذا الوجود . وسأزورك بعد حفلة الزفاف حالاً لابرهن لك على ان زواجي لم يكن الاَّ فصلاً من فصول التمثيل ليس الاَّ

قالت — ولكني انصح لك ان لا تفعل ما يغيظ عمك قبل ان يكتب وصيته وحينئذٍ تفعل ما تشاء

وبعد حديث قصير في مواضيع اخرى نهض عزيز فودَّع استير وخرج . وفي طريقه مرَّ على ناثان الصيرفي وعلم منه انه اشترى لحسابه الاواني الزجاجية بثمانمئة جنيه وكتب للبائع صكاً بثمانمئة وخمسين جنيهاً لمدة شهرين لانه لم يرض بغير ذلك . وانه باع هذه الاواني لبعض التجار بستمئة واربعين جنيهاً . ثم ادَّى له الستمئة وأبقى لنفسه الاربعين عمالةً وقال — تفضل الان واكتب لي صكاً بالمبلغ . أكتبه هذه المرة باسمي لان صاحب البضاعة لم يرض الاَّ بان يكون الصك بتوقيعي

فتسلَّم عزيز المال وكتب صكاً لناثان بقيمة ثمانمئة وخمسين جنيهاً وعاد بعد ذلك الى منزله وهو لا يعلم ماذا يفعل

* * *

ولما بلغ المنزل دخل الى مخدع عمه فألفاه جالساً على سريره وبيده جريدة يطالعها . ولما رأى الشيخ عزيزاً تلقَّاه بالبشاشة والاهتمام وقد ترك الجريدة جانباً وقال — عسى ان تكون قد جئتني الان بما يزيدني بهجةً وعافية

فقال عزيز — نعم يا عماه لاني لا اريد ان اخالف لك امراً

فحدَّق الشيخ الى عيني عزيز كأنه يحاول قراءة صحيفة قلبه وقال — فهل تريد ان تقترن بنجلاء ؟

قال — نعم

قال — تعال اذاً لاقبلك وأضمك الى صدري

فدنا عزيز منه وقبله وقبل يده . فقبله الشيخ وضمه الى صدره وبكى من شدة الفرح وقال — أُدعُ لي نجلاء ووالدتها

فخرج عزيز ولم يبطئ ان عاد وهما معه . فقال الشيخ لمريم — لقد سألتني مراراً عن الوصية وعما سيحل بك وبابنتك بعد وفاتي . فجوابي

على كل ذلك هو اني لم اكتب وصيةً حتى الان ولا اريد ان اكتب شيئاً ولكني اقدم لك ولابنتك وربيّي العزيز بالذات · فهو كله لكما هو لنجلاء ونجلاء له

ولم تكن مريم ونجلاء تتوقعان ان تسمعا مثل هذا الكلام فوقفتا جامدتين لا تدريان ما تقولان

فقال الشيخ لعزيز ونجلاء — ادنوا مني الان لاقبلكما واباركما

ففعلا وقبلهما الشيخ وقد اغرورقت عيناه بدموع الفرح ثم قال — قبّلا الان احدكما الآخر واخرجوا كلكم من هنا لاني اريد ان اخلو بنفسي وأرتاح مما ألمَّ بي من التأثير

ففعل عزيز ونجلاء ما اراد الشيخ · ثم خرجا وفي اثرهما مريم وهي اكثرهما سروراً

واقام عزيز بقية ذلك النهار والليل الذي تلاه في المنزل لم يخرج منه لا الى المحل ولا لمقابلة استير وقد فعل ذلك لارضاء عمه · غير انه لم يجتمع بنجلاء او بوالدتها الا بضع دقائق كان الحديث فيها بكل تكلف وجفاء



١٢

وفي اليوم التالي دعا الشيخ نعمان عزيزاً وقال له — نحن الان في اواسط شهر آب · وفي اواسط شهر ايلول القادم تكون حفلة زواجك ان شاء الله · وكنت اودُّ ان تكون قبل ذلك غير ان ما اشعر به من التقدم في العافية يجعلني ان أرجئ هذه الحفلة شهراً كاملاً لتتمكن من التأهب لها · واول ما ارجوه ان تنزع حب تلك الفتاة ·· من قلبك وتحسب الماضي كله حلماً عبر . ولعلك تكون في حاجة الى المال او تكون مديناً لتلك الغانية او لاحد بسببها فهذه خمسمئة جنيه انفق منها المبلغ اللازم في هذا السبيل والباقي تنفقه في ابتياع ما يلزمك من الاغراض

ثم تناول من خزانة حديدية بجانب السرير سفطاً من العاج فناوله لعزيز وقال — في هذا السفط قطع شتى من الحليّ كانت كلها لقرينتي المتوفاة منذ اكثر من عشرين سنة وقد ضنتُ هذه الحلي كل هذه المدة الى ان حان وقت اخراجها من مخبئها · فهاءنذا اقدمها الان اليك لتنفع بها عروسك هدية الخطبة فاذهب وقدّمها اليها

فخرج عزيز يحمل السفط الى ان بلغ غرفة نجلاء فدخل · وكانت مريم والدتها هناك . فلما ابصرته داخلاً استبشرت خيراً ورحبت به بكل بشاشة · واما نجلاء فلبثت في مكانها وقد بُهتت قليلاً ثم تجلّدت .

فتقدم اليها عزيز وقال وهو يحاول ان لا يلتقي نظره بنظرها — ان عمي قد اعطاني هذا السفط لاقدمه اليك

فنظرت اليه نجلاء وقالت — اشكرك

ونهضت مريم فأخذت السفط بين يديها وفتحته واذا فيه شيء كثير من الحلى والجواهر التي تُقدَّر قيمتها بثلاثة آلاف جنيه · فلم تتمالك من اظهار دهشتها واعجابها

ورأى عزيز ان نجلاء لم تحفل به ولا بهديته فتنازعته عوامل شتى من تبكيت الضمير وأدرك ان نجلاء مطلعة على سره فخرج وهو يشعر بحرج موقفه بازائها

* * *

ولما كان المساء اجتمع عزيز ومريم ونجلاء في مخدع الشيخ بدعوة منه واخذوا يتجاذبون اطراف الحديث

وكان عزيز قد جاءه بالبريد في ذلك النهار كتاب من احد عملائه في دمشق يقول فيه : ان الحكومة التركية لاتزال محافظة على الحياد التام حيال الحرب الاوربية ولكنها ترى نفسها مضطرة الى التأهب وهي تظهر ان الغرض من ذلك هو لتكون مستعدة للفواجئ فلا تؤخذ على غرة وبناء على ذلك فهي قد أعلنت التعبئة العامة واخذت تجند كل شاب وكل رجل الاّ من يدفع البدل العسكري وهو خمسة واربعون جنيهاً عثمانياً

فرأ عزيز لعمه هذا الكتاب وهو يود ان يكون موضوع حديث تلك السهرة لئلاّ يكون الموضوع مسألة الزواج والاستعداد له وهو اكره المواضيع عليه

فقال الشيخ — لقد بدأت تركيا تلعب بالنار · وهي ستشرع منذ الان في استنزاف اموال رعيتها ثم تأخذ في قتلها حتى تجعل البلاد اخيراً خراباً يباباً

قال — ولكن الحلفاء ياعماه اذا رأوا منها اقل مظهر عدائي فانهم لا يلبثون ان يحتلوا سوريا في الحال وينقذوها من ظالميها

قال — هيهات ذلك فان الحلفاء لا يستغنون الان عن مئة الف جندي ليرسلوها الى سوريا وهم في حاجة الى كل جندي جديد لتعزيز موقفهم الحربي في الميدان الالماني

قال — وهل يتركون تركيا تنشب مخالبها في السوريين دون ان يمدُّوا اليهم يد المساعدة ؟

قال — هكذا اظن والضرورة تقضي على الحلفاء بذلك ولا لوم عليهم في ذلك ولا تثريب

قال — وقد جاء منذ بضعة ايام بضع عشرات من السوريين الى الاسكندرية ومصر فراراً من الجندية واجتمعتُ ببعضهم في المحل فحدثوني عن الخوف الشديد الذي عمَّ البلاد من اقصاها الى اقصاها

قال — وحسناً فعلوا بمجيئهم الى هذا القطر لانه سيبقى على ما ارى في معزل عن الحرب وويلاتها

قال — وكم تفعل تركيا من الحسنات لنفسها ولرعيتها لو تبقى على الحياد ولا تخوض غمار هذه الحرب المشوءومة

فهزَّ الشيخ رأسه وقال — ان زمام هذه الدولة الان في ايدي فتيان ليسوا على شيءٍ من الحنكة والدربة . وقد غرَّهم الامل في حسن نيات المانيا وقوتها او بالاحرى غرَّهم الطمع في كسب الدرهم فلا يلبثون ان يتهوروا في الحرب رجاء اصابة المغنم . وما مثلُهم في ذلك الا كالمعتوه الذي القى بنفسه من علٍ فلم يشعر بألم السقوط الا بعد ان صادم ارضاً رضَّت عظامه رضاً . وهذا شأن كل جاهل في هذه الدنيا لا يرعوي عن غيه ولا يعود الى رشده الا بعد ان يشقى ويتألم وقد يقتل نفسه ولا يتعظ

فأدرك عزيز ان عمه انما اراده بهذا الكلام فلاذ بالسكوت وتظاهر بانه لم يفهم المراد

وعاد نعمان الى الكلام فقال — نعم يا بني ان الجهل وخيم العاقبة . وكل رجل يجهل في شبابه . ولكنه اذا كان عاقلاً ووجد من يرشده الى الخير ويزعه عن المنكر فانه ينبذ حياة الطيش السابقة ويعود الى الهدى .. وانا واثق بك كل الثقة ان تحقق آمالي فيك فتسلك سبيل آبائك واجدادك من قبلك وتجتهد ان تجعل حياتك من الان نقية من كل شائبة . اسمع يا ولدي ان تحيا حياة بيتية سعيدة . واعلم أن لا سعادة الا في الاسرة . والسعادة هي في يدنا بشرط ان نعرف كيف نعيش لنكون سعداء . انظر اني مسرور جداً وسعيد جداً لارتباطك الان بنجلاء . وساكون اكثر سعادة وهناء متى رأيت الحب الصادق متبادلاً بينكما فاكون بذلك قد ضمنتُ سعادة نجلاء وهي ابنتي وحبيبتي وضمنت سعادتك وانت في مقام ابني وموضع آمالي وعنايتي

ولما قال هذا فتح الخزانة الحديدية التي بازاء سريره فأخرج منها شيئاً من القراطيس المالية ثم وجه خطابه الى نجلاء وقال — انا اعلم اني لست في حاجة الى اعطائك بائنة (دوطة) لان كل ما لي فهو لعزيز ولك . غير اني اتباعاً للعادة لا اريد ان احرمك هذه البائنة . وقد جعلت بائنتك هذه العشرة آلاف جنيه . فخذيها وجهزي نفسك كما تريدين وكما تريد والدتك ان يكون

فقامت نجلاء واخذت من الشيخ القراطيس المالية وقبلت يده ثم عادت الى مكانها

وعاد الجميع الى الحديث والشيخ يظهر نشاطاً عجيباً وارتياحاً كبيراً الى هذا الاجتماع

١٣

ومرَّت الايام بعد ذلك والشيخ نعمان يتقدم في الصحة . وعزيز ينتهز الفرصة بعد الفرصة للاجتماع باستير . ولكنه لم يعد يجسر ان يذهب اليها ليلاً الا بعد ان ينام جميع مَن في المنزل . وقد بقي على جفائه مع نجلاء ونفوره منها . فلم يكن يجتمع بها الا نادراً . وكانت هي لا تسعى لمقابلته ولا تظهر اهتماماً بامره . بخلاف والدتها فانها كانت تتوسل بكل وسيلة لاستمالته الى ابنتها

وكانت استير في هذه الايام قد انتقلت الى منزلها الجديد ورتبت الاثاث الذي ابتاعه لها عزيز . وكانت شهرتها تزيد مع الايام وقد كثر المعجبون بها والتفَّ حواليها رهط من تبعَة الملاهي وعبدة الشهوات . وكانوا يترددون عليها الى منزلها الجديد وفي مقدمتهم الكولونيل . وكانت هي تُظهر للجميع المودة والشغف وتقبل منهم الهدايا والتحف ولا ترفض دعواتهم الى المآدب التي كانوا يقيمونها لهـا من حين الى آخر

واتفق ان عزيزاً زارها في ذات يوم فرأى على مائدة في مخدعها طبقاً من الفضة عليه دزينة من الفناجين الفاخرة فسألها عنها فقالت — ان صديقاً للكولونيل قد قدمها اليَّ امس

فظهرت على وجه عزيز لوائح الكمد والاستياء وقد اخذت منه الغيرة مأخذها وقال — ولكني قلت لك يا عزيزتي مراراً ان لا تقبلي من احد شيئاً لاني لا اقصّر في تقديم كل ما تطلبين

قالت — ولكنك نسيتني هذه المدة . ولعلك شُغفت بعروسك الجديدة

فلم يعد يهمك امري فاضطررت ان اقبل ما يقدمه الغير

قال — انا لا أُشغف باحد سواك وانت الحبيبة الوحيدة التي احبها واعبدها وارجو ان ترفضي بعد الان كل تقدمة تأتيك من غيري

قالت — سأفعل ما تريد بشرط ان تقدم لي الان هدية جديدة

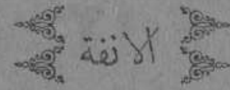
قال — ما عليك الا ان تأمري وما عليَّ الا الطاعة والانقياد

قالت — ان الكولونيل وعد ان يقدم لي مع نفر من اصدقائه فراشة جميلة من الالماس

قال — وهل وعدته بقبولها؟

قالت — لا. لم اعده بعد

«ستأتي البقية»



الانفة

ان للانفس الساكنة الى الاحساب الزكية حالين من لين ومن شدّة · قد لا يكون لها فيهما اختيار ولكنها تستشعر باللطف فتلين وتحس بالجفاء فتشتد · وانما يسيرها في حاليها سلطان هي مسخرة له · ذلك هو الانفة

تبدو الفائدة في باب قصر كبير محجوج الركن مقصود المكان · فتزدحم الناس بآمالها ومطالبها · كلٌّ يصيب عَلَى قدر سعيه وحيلته · وذو الانفة واقف ينظر · تغريه الرغبة و يزهده الكبر · وان به من الحاجة مثل ما بالمزدحمين كلهم · ولكن عنده من الصبر مثل ما عند المزدحمين كلهم

و يتراءى شخص الهول في مثار الحوادث فيتراكض الخلق طلباً للنجاة · كل يشتد فى عدوه عَلَى قدر صلابة ساقه · وذو الانفة ثابت في موطنه · لا يتطلع امامه ولا يلتفت وراءه وان بقلبه من الخشية مثل ما بالقلوب الخاشية جميعها · غير ان الانفة تغلب الروعة · فيعلوه من وقار السكون مثل ما علا الخلق من خفة الرجفان

و يشرق نور الجمال من المحيا الطلق و يتألق بارق الفتنة من الثنايا المفلجة و يتدفق السحر من الاطراف الساجية · فتختلج الارواح وتحار العقول وتخف الاحلام وتبطل الحكمة · واذا الناس صرعى وذو الانفة معجب ولكنه مستأخر · مفتون اللب ولكنه ناصح الرأي · وهو انفذ تأملاتٍ واوسع ادراكاً وأدرى بمعاني الجمال واشدُّ حساً بكهربائه

و يثور الهوى ثورته · فما على الارض من طود راسخ الاَّ اضطرب على قواعده · ولا في صدر الكون من ريح ساكنة الاَّ اشتدت عواصفها · ولا في اقطار الارض من بركان مبترد الاَّ اضطرم جاحمه وتطايرت حممه واندفق مُهْله · ولا في اودية الارض نهر الاَّ علَت امواجه وفاض على الشعاب لجُّه · ولا في الاجساد نفس الا ولهت · ولا في الصدور قلب الا ذاب · وذو الانفة يعالج مثل ما يعالج الكل · وهو اكثر حصةً من الكل · فاذا تمادى الدل صبر · ولكن اذا انقلب صداً انصرف على ان لا يعود · لان الانفة اشد حساً من النفس · وهي توطد النفس على احتمال المر من الصبر او تذوب من اللواعج

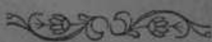
يا ويح ذي الانفة ممن لا يفهمون الانفة · اذا أيقن انه غير مفهوم الطبائع تململ وأنشد قول ملك الكلام اسماعيل باشا صبري

يا موت خذ ما أبقت الا ايام والساعات مني
بيني وبينك خطوةٌ ان تخطها فرَّجت عني

* * *

ان في هذا الوجود لنفوساً تنم عليها حالاتها ولكن تقصر عنها الفتن · فهي كالكتب المختومة ترجع الى دار البريد قبل ان تفضها كف وتقرأها عين

ولي الدين يكن



آداب فيلسوف المعرَّة وخياله

بقلم حضرة الكاتب المحقق عيسى اسكندر المعلوف

(١)

من غريب ما عُرف عن هذا الفيلسوف الاعمى انهُ كان بصير القلب كثيراً حتى لقد وصف اشياء كثيرة وصفاً دقيقاً لا يستطيع البصير ان يدركهُ او يتمثلهُ. ولهذا القيت الآن نظرة عامة على ما حضرني من ابياته البديعة في كثير من الاغراض مشيراً فيها الى دقة خياله وحسن آدابه. فمما ابدع فيه قوله في الفجرين الصادق والكاذب وهو مما لم يسبق اليه :

كأنَّ سنى الفجرين لما تواليا ... دم الاخوين زعفرانٍ وأيدع
افاض على تاليهما الصبح ماءهُ ... فغيَّر من اشراق احمر مشبع

وكفاه في هذين دقة تخيُّل وحسن تمثل

واما آدابه فكثيرة منها قوله في الرفق بالحيوان :

لقد رابني مغدى الفقير بجهله ... على العير ضرباً ساء مايتقلَّدُ
يحمّله ما لا يطيق فان ونى ... احال على ذي فترةٍ يتجلَّدُ

ومن ادلة رفقه بالحيوان ايضاً قوله الذي يدل على امتناعه من اكل اللحوم ترفقاً بالحيوانات الضعيفة :

اذا كنت في نخل جناه ميسرٌ ... بكفك فاهتف بالضعيف الى النخل
فان لم يعد فابعث له سهم طائر ... لتؤجر او تدعى البريَّ من البخل
ابى الله اكلي ذرَّ ضأنٍ وماعزٍ ... وادخالي الامرَّ المضرَّ على السخل

واشتهر عنه انه بقي خمساً واربعين سنة لا يذوق نتاج الحيوان من لحم ولبن وبيض مقتصراً على المآكل النباتية . ولما توفي اشار تلميذه ابو الحسن علي بن همام الى مذهبه البرهمي بقوله :

ان كنت لم ترقِ الدماء زهادةً ... فلقد ارقت اليوم من عيني دما

ولقد رفق بالانسان ايضاً واظهر عواطفهُ عليه باقواله الرائقة. منها في كرهه للجور :

يغدو على خلّه الانسان يظلمهُ ... كالذيب يأكل عند الغرَّة الذيبا

وقوله ايضاً في الخصام :

سجايا كلها غدرٌ وخبثٌ ... توارثها أناس عن أناس
يهاجر غابهُ الضرغام كيما ... ينازع ظبي رملٍ في كِناس

(٢)

مرَّ آنفاً ان الفيلسوف ابا العلاء المعري الضرير المشهور باسم (رهن المحبسين) صرَّح بابيات له بالرفق بالحيوان والان طالعت له قصيدة بديعة في ديوانه (اللزوميات) فانتخبتُ منها هذه الابيات مما يدل على رفقه بالحيوان وحبه للسلامة وهي :

غدوت مريض العقل والدين فالقني ... لتسمع انباء الامور الصحائحِ
فلا تأكلنْ ما اخرج الماء ظالماً ... ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
ولا بيض امّاتٍ ارادت صريحه ... لاطفالها دون الغواني الصرائحِ
ولا تفجعنَّ الطير وهي غوافل ... بما وضعت فالظلم شرُّ القبائحِ
ودع ضَربَ النحل الذي بكرت له ... كواسب من ازهار نبتٍ فوائح (١)
فما احرزته كي يكون لغيرها ... ولا جمعته للندى والمنائحِ (٢)
مسحت يدي من كل هذا فليتني ... أبهت لشاني قبل شيب المسائحِ (٣)
بني زمني هل تعلمون سرائراً ... علمت ولكني بها غير بائح
سريتم على غيٍّ فهلاَّ اهتديتمُ ... بما خبرتكم صافيات القرائحِ
وصاح بكم داعي الضلال فما لكم ... اجبتم على ما خيَّلت كل صائحِ
فان ترشدوا لا تخضبوا السيف من دمٍ ... ولا تلزموا الاميال سبر الجرائحِ (٤)

---

(١) اراد النهي عن اكل السمك ولحم الذبائح من حيوان وطير وعسل النحل في ابياته هذه وهو منتهى الرفق بالحيوان

(٢) جمع منيحة وهي ان تمطي الناقة والشاة ونحوهما لغيرك فيحتلبها ويردها عليك

(٣) جمع مسيحة وهي الذؤابة وما بين الصدغين الى الجبهة

(٤) اي لا تجرحوا بالحرب جراحاً تحتاج الى مسبار لمعرفة غورها

ومن اقواله في عيوب النفس :

عيوبي ان سألتَ بها كثيرٌ … وايُّ الناس ليس له عيوبُ
وللانسان ظاهرُ ما يراه … وليس عليه ما تخفي الغيوبُ
يجرُّون الذيول على المخازي … وقد ملئت من الغش الجيوبُ
وكيف يصول في الايام ليثٌ … اذا وهت المخالب والنيوبُ

ومن اقواله في التهذيب :

ان عذب المين بافواهكم … فانَّ صدقي بفمي اعذبُ
طلبتُ للعالم تهذيبهم … والناس ما صفُّوا ولا هُذّبوا
سألت من خالفَ عن دينه … فاعوز المخبر لا يكذب
واكثروا الدعوى بلا حجه … كلٌّ الى حيزه يجذب

وقال في الرياء والخداع :

يحسن مرأى لبني ادم … وكلهم في الذوق لا يعذبُ
ما فيهم برٌّ ولا ناسكٌ … الاَّ الى نفع له يجذبُ
افضل من افضلهم صخرةٌ … لا تظلم الناس ولا تكذبُ

ومن بلاغاته قوله :

الدين انصافك الاقوام كلهمُ … وايُّ دين لآبي الحق ان وجبا
والمرء يعييه قود النفس مصحبةً … للخير وهو يقود العسكر اللجبا
وصومه الشهرَ ما لم يجن معصيةً … يغنيه عن صومه شعبان او رجبا
وما اتبعت نجيباً في شمائله … وفي الحِمام تبعت السادة النجبا
واحذر دعاء ظليمٍ في نعامته(١) … فرُبَّ دعوة داعٍ تخرق الحجبا

﴿ ٣ ﴾

[النفائس] — هذا ما ارسله الينا رصيفنا الفاضل صاحب (الاثار) من آداب المعرّي . وقد رأينا ان نزيد على ما كتبه الاستاذ شيئاً من نوادر الرجل نقتطفها من اخباره . والمشهور عن ابي العلاء انه كان على أعظم جانب من الذكاء وتوقد الذهن لا يكاد يمرُّ بسمعه شيءٌ حتى يحفظه كأن ما سمعه كان محفوظاً لديه

فمن امثلة ذلك ما حكاه أسامة بن منقذ قال : كان بانطاكية خزانة كتب . وكان الخازن بها رجلاً علوياً فجئتُ عنده يوماً فقال : قد خبأت لك خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثلها في تاريخ ولا كتاب منسوخ. قلت وماهي. قال : صبي دون البلوغ ضرير يتردَّد اليَّ قد حفظتهُ في ايام قلائل عدة كتب فاني اقرأ عليه الكراسة والكراستين مرة واحدة فلا يستعيد الاَّ ما يشك فيه ثم يتلو عليَّ ما قد سمعه كأنه كان محفوظاً له. فقلت فلعله قد يكون. قال سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك فهو اعظم . ثم حضر المشار اليه وهو صبي دميم الخلقة مجدر الوجه على عينيه بياض من اثر الجدري كأنه ينظر باحدى عينيه قليلاً وهو يتوقد ذكاءً يقوده رجل . فقال له الخازن : ياولدي هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب ان تحفظ اليوم ما يختاره لك. فقال سمعاً. قال ابن منقذ: فاخترت شيئاً وقرأتهُ على الصبي وهو يموج ويستزيد فاذا مرَّ شيءٌ يحتاج الى تقريره في خاطره يقول أعدْ هذا . فأردّده عليه مرة اخرى حتى انتهيتُ الى ما يزيد على كراسة . ثم استمدته ما أمليتهُ عليه وانا أعارضه بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهى الى حيث وقفتُ فكاد عقلي ان يذهب لما رأيت منه وعلمت ان ليس في العالم مَن يقدر على ذلك الاَّ ان يشاء الله . وسألت عنه فقيل لي هذا ابو العلاء المعرّي التنوخي من بيت العلم والقضاء والثروة ...

وأعجب من هذه ما حكى بعض طلبته عنه قال : كان لابي العلاء جار اعجمي . فاتفق انه غاب عن المعرَّة . فحضر رجل اعجمي يطلبه قد قدم من بلده فوجده غائباً . فلم يمكنه المقام . فاشار اليه ابو العلاء ان تكلم . واصغى اليه الى ان فرغ

(١) في كلمتي ظليم ونعامة توريتان لان الاولى بمعنى ذكر النعامة وبمعنى المظلوم والثانية بمعنى الطير المعروف وظلمة الليل

من كلامه. ولم يكن ابو العلاء يعرف الفارسية. ومضى الرجل. وقدم جاره الغائب وحضر عند ابي العلاء. فذكر له حال الرجل وجعل يذكر له بالفارسية ما قال والرجل يبكي ويستغيث ويلطم وجهه الى ان فرغ من حديثه. فساله عن حاله فأخبر انه أُخبر بموت ابيه واخوته وجماعة من اهله

ومثل هذا ما ذكره تلميذه ابو زكريا التبريزي انه كان قاعداً في مجلسه بمعرّة النعمان بين يدي ابي العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه. قال كنت قد أقمت عنده سنين لم أرَ احداً من اهل بلدي. فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وعرفته وتغيرت من الفرح. فقال لي ابو العلاء اي شيء اصابك؟ فحكيت له اني رأيت جاراً لي بعد ان لم ألقَ احداً من اهل بلدي سنين. فقال قم فكلمه. فقمتُ وكلمته بلسان الاذربية شيئاً كثيراً الى ان سألته عن كل ما بدا لي. فلما رجعت ووقفت بين يديه قال لي اي لسان هذا؟ فقلت هذا لسان اذربيجان. فقال لي ما عرفت اللسان ولا فهمته ولكني حفظت ما قلتما. وأعاد عليّ اللفظ بعينه من غير ان ينقص منه او يزيد عليه. وهذه من اعجب العجائب لانه حفظ ما لم يفهم

وحكى عنه ايضاً بعض اصحابه ان جاراً له سمّاناً كان بينه وبين رجل من اهل المعرة معاملة. وكان ابو العلاء في غرفته. فجاء ذلك الرجل وحاسب السمان برقاع يستدعي فيها ما يأخذه منه عند حاجته اليه. فسمع ابو العلاء السمان المذكور بعد مدّة يتأوّه ويتململ. فسأله عن حاله. فقال: كنتُ حاسبتُ فلاناً برقاع كانت له عندي وعدمتها ولا يحضرني حسابه. فقال: ما عليك من بأس انا أُملي عليك حسابه. وجعل يملي معاملته رقعةً بعد رقعة والسمان يكتبها الى ان فرغ وقام. فما مضت الا ايام يسيرة حتى وجد السمان الرقاع فقابل بها ما املاه عليه ابو العلاء فطابق املاؤه الرقاع

حديث السجون

– تتمة –

وجاءنا حاكم عكا في ذات يوم وقال — ان الحكومة قد انزلت عنكما مدة الحكم فجعلتها ستة اشهر بدل السنتين. فشكرناه وقلنا — اننا كنا ننتظر ان تعاملنا الحكومة بعدلها المشهور فتجعل عفوها على نسبة واحدة بيننا وبين الصهيونيين. لان الصهيونيين وهم مجرمون جرماً حقيقياً قد جعلت مدة الحكم عليهم من خمس عشرة سنة الى سنة للخواجا جابوتنسكي ومن ثلاث سنوات الى ستة اشهر لكل من الباقين. ولما كان جرمنا في نظر الحكومة قومياً — بدليل المخابرات التي جرت بينها وبين الجمعيات الوطنية بخصوصنا — فعليها والحالة هذه ان تساوينا بالصهيونيين على الاقل وتجعل مدة الحكم علينا شهراً ونصفاً او شهرين مراعاةً للمساواة بيننا وبين خصومنا وصوناً لحقوق الامة العربية بازاء اليهود — ثم كرّرنا هذا الكلام للكولونيل ستنتون وسألناه ان يرفع عريضة احتجاج منا الى المدير العام في هذا الشان. فقال — ولكن الحكومة حرّة في عفوها. قلنا — نعم. الا في عفوها في مثل قضيتنا وقضية الصهيونيين. قال — ولكنكم ستخرجون جميعاً في مدة قريبة. قلنا — ولو خرجنا الان فان ذلك لا يبرّر عمل الحكومة ونحن نحتج عليها.. وعلمنا بعد ذلك ان الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس قد احتجت رسمياً على ذلك وكتبت الصحف الوطنية كل ما يجب ان يُكتب في هذا الموضوع

* * *

وعلمنا في اواخر حزيران بقرب سفر المدير العام الجنرال بولز من فلسطين وحضور السر هربرت صموئيل مندوباً سامياً فيها. وقرأنا في الجرائد ما صرح به فخامة المندوب

وهو لم يزل في اوربا عن السياسة التي سينتهجها في هذه البلاد. وعلمنا بعد ذلك بان وصول المندوب سيكون في اول تموز وان الحكومة ستحتفل بقراءة منشور جلالة الملك جورج الخامس الى اهالي فلسطين في القدس في ٧ تموز وفي حيفا في ٨ منه. وان المندوب سيعلن في هذين الاحتفالين الادارة الملكية في البلاد ويعلن عفو الحكومة عن سجناء حادثة ٤ نيسان

ولما كان اليوم المنتظر (٨ تموز) زارنا حاكم عكا صباحاً وقال — انكما والصهيونيين ستسافرون الليلة القادمة الى حيفا في قطار خاص وهناك يقابلكم مدير البوليس ويعلن لكم ارادة الحكومة. قلنا — وهل نأخذ ثيابنا واشياءنا معنا؟ قال — لم يأتني نبأ بهذا الشان. ولما كنت مزمعاً على الشخوص الى حيفا في هذا النهار لحضور الاحتفال فاني ساقابل هناك الحاكم وأستعلم منه وأخبركما مساء حين عودتي

ولما كان المساء عاد الحاكم من حيفا وقال — انتما حرّان منذ هذه الساعة ان تسافرا الى حيث شئتما فقد عُفي عنكما وأمرتُ باطلاق سراحكما. فشكرناه. ثم ذهب الحاكم الى سجن الصهيونيين وأعلن لهم ما اعلنه لنا. فنزلوا من سجنهم وجاءوا فاجتمعوا بنا وقضينا بضع دقائق في الحديث. وكُتب على اثر ذلك في بعض الجرائد العبرانية والعربية العبرانية اننا زرنا الخواجا جابوتنسكي في سجنه واستغفرناه عما مضى.. ولم نعلم نحن بذلك الا بعد وصولنا الى القدس ببضعة ايام. فكتبنا رداً في جريدة (سوريا الجنوبية) ورداً آخر في جريدة (بيت المقدس) على هذا الافتراء الشنيع. ثم قرأنا مثل هذا الكلام السخيف في جريدة (الاجبشن غازت) الانكليزية نقلاً عن الجرائد العبرانية او عن رسائل احد المكاتبين «الصادقين». وقد استغربنا استرسال اصحاب تلك الجرائد الى مثل هذه الاكاذيب الملفقة ومتاجرتها بمثل هذه السخافات الشنيعة. ولم يكن يخطر في بالنا ان نذكر شيئاً من ذلك هنا لولا هذه الجعجعة الفارغة التي اهتمت تلك الجرائد بها وقلبت فيها الحقيقة على هواها

خرجنا من السجن مساء وبتنا ليلتنا تلك في منزل بعض الاصدقاء وأقمنا بعد ذلك في عكا يومين وفي حيفا يومين آخرين قضيناها في زيارة الاصدقاء والمعارف. وقد زرنا في جملة من زرنا حضرة صاحب السماحة السيد الكبير عباس افندي ولبثنا في حضرته ساعة كانت من احسن ساعات حياتنا وقد رأينا من سماحته من اللطف والمؤانسة ما لن ننساه ابد الدهر

وفي ١٣ تموز ركبنا القطار من حيفا الى القدس وعدنا فاجتمعنا بالخواجا جابوتنسكي ورفاقه فيه لانهم كانوا مسافرين ايضاً الى القدس مثلنا. ولما وصلنا قرية بتير رأينا جميع سكانها واقفين في المحطة ينتظرون وصولنا وبينهم عيالنا وبعض الاصدقاء من القدس وفي مقدمتهم السريّ الفاضل جميل بك الحسيني جاءوا خصيصاً لمقابلتنا وإشعارنا بوجوب نزولنا في بتير ليكون وصولنا الى القدس في اليوم التالي. فنزلنا واجتمعنا بأحبابنا وكانت ساعة يعجز القلم عن وصفها

وكان الشيخ الكريم السيد مصطفى حسن مختار بتير قد دعانا الى منزله ودعا جميع اهل البلد معنا رجالاً ونساء واولاداً وقد قضى الجميع تلك الليلة في احسن مظاهر الطرب والسرور. ولبثنا في بتير الى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي ثم جاء القطار فركبناه الى القدس ونحن نشكر اريحية السيد مصطفى وكرمه الحاتمي

ولم نكد نصل محطة القدس حتى رأينا جماهير الوطنيين الاعزاء في انتظارنا وفي مقدمتهم حضرة صاحب السعادة السريّ عارف باشا الدجاني رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية

في القدس . وليس لقلمنا ان يصف ساعة اللقاء هذه وماتجلّى فيها من روح الوطنية الصادقة فنكتفي بالاشارة الى كل ذلك اشارةً فقط ونحن نجهر بالشكر الحميم للجميع

وكانت جمعية المنتدى الادبي الكريمة قد هيأت حفلة الاستقبال وأعدّت عشرات العربات لركوب تلك الجماهير فركب الجميع ودخلنا المدينة في موكب وطني حافل وكانت جماهير اخرى كثيرة على جانبي الطريق وفي ساحة باب الخليل وهي في احسن مظاهر البهجة والسرور . فحيّا الله هذه الوجوه الكريمة ولا عدم الوطن امثال هذه الوطنية الصادقة

وكان نادي الجمعية مُعداً لاستقبال تلك الجماهير وقد طيف بالمرطبات على الجميع . وألقينا وقتئذ خطبةً وجيزة شكرنا فيها هذه العواطف النبيلة . وتكلم غيرنا بما يناسب المقام . ثم تفرّقت تلك الجماهير وخرجنا وكانا السنة ناطقة بالثناء العاطر على همة الجمعية وفضلها ووطنية اعضائها واريحيتهم نخص بالذكر منهم صديقنا الاديب فخري افندي النشاشيبي معتمد الجمعية وأحد مؤسسيها الالبّاء

وبعد بضعة ايام من وصولنا دُعينا ورفيقنا عبد الفتاح افندي لمقابلة فخامة المندوب السامي السر هربرت صموئيل في دار الادارة العامة في جبل الزيتون . وقد رأينا من فخامته كل لطف ومجاملة وكل استعداد لخدمة البلاد والسير بها في معارج العمران . ومما قاله فخامته : اني افتخر لان اول عمل عملته في فلسطين هو اصدار العفو عنكم . فشكرناه ثم خضنا عباب الحديث فيما يتعلق بفلسطين ومستقبلها واحوالها فرأينا من فخامة المندوب كل غيرة وصدق عزيمة على العمل لخير البلاد وإسعادها

* * *

هذا ما اردنا الاشارة اليه من وصف الحادثة التي وقعت لنا وقد أطلنا في الموضوع الى ما لعلّه أدّى الى ملل القرّاء . وكنا نود ان نمسك عنان القلم عند هذا القدر ولكننا لا نرى بدّاً من إجمال ما رأيناه في السجون وما كان من نتيجة درسنا لاحوال السجناء عموماً

اما السجون فقد وُجدت منذ اول نشأتها للتأديب . يُعزَل فيها الجاني والاثيم ليرتدع كلٌّ منهما عن جناياته ويتوب عن مأثمه . وكانت في اول عهدها من شرّ ما ابتدعته فكرة الانسان لتعذيب الانسان . ثم اخذت ترتقي على نسبة ارتقاء الامم وتتنوَّع على درجة تنوّع هذه الامم وتفاوتها في الحضارة والمدنية . فكلما تمدّنت الامة وارتقت كانت سجونها مقياساً لذلك التمدن وهذا الرقي حتى اصبحت عند بعض الامم دوراً رحبة يجد فيها السجين كل انواع الرفاهية والراحة واصبحت عند غيرها اشبه بمدارس تهذيبية وصناعية لا يدخلها السجين او المتشرد الاّ ليخرج وقد استأصل من نفسه كل جرثومة من جراثيم الشر والفساد التي كانت متأصلة فيها وتعلم حرفةً تقيه التشرّد وتفتح امامه باباً للرزق . وهذا ما اردنا ان نوجه عناية حكومتنا اليه وهي في اول عهدها بهذه البلاد

* * *

لم نكن قبل هذه الحادثة نعرف السجون او نهتم بها . ولم يكن يخطر في بالنا ان هناك قوماً يتألمون . فكان وجودنا في السجن هذه المدة درساً مفيداً من دروس الحياة انفتحت اعيننا فيه على امور كثيرة كنا نجهلها تمام الجهل

واول ما استفدناه من دروس الحياة حيال هذه الحادثة ان الانسان لا يكفي ان يكون صادقاً في هذه الدنيا ليأمن كل خطر على نفسه . — وانه مهما كان صادقاً واديباً وبعيداً عن الشر ومهما شهد له ماضيه بكل ذلك فعليه ان يرهب

الحكومة على الدوام ويحذر بطشها على الدوام . — وانه مهما كان بارعاً في العلم والفلسفة فعليه ان يعرف ان من العلوم ايضاً ما يُسمى بالسياسة . فيجب ان يدرسها من جميع الوجوه ويعرف ان لها باطناً وظاهراً بل عدة بواطن وعدة ظواهر قد لا يعرفها الا الله ومَن شاب شعره وهو متبوّئ منصّات السياسة يحلّ رموزها واسرارها

وقد استفدنا من السجن اثناء وجودنا فيه اننا ازددنا رغبة في الحياة وقوة على العمل . وكان مَثَلنا فيه مثل رجل كان صحيح الجسم ثم اعتلّ وأصبح لا همّ له وهو في هذه العلة الا ان يستردّ عافيتهُ ليعود الى صحتهِ وهنائهِ . مع انه لم يكن يبالي بهذه الصحة او يعرف قيمتها قبل ان ابتُلي . فالسجن في المجتمع هو علّة من العلل الوبيلة التي يجب التداوي منها ليتخلص المجموع كله . بل هو قبر للاحياء يجب الاقلاع عنه اوازالته من الوجود ليعود هؤلاء الاحياء الى النور — الى الهواء النقي والشمس المشرقة — الى الحرية — الى الحياة التي وهبتهم اياها الطبيعة وحرمهم اياها الانسان نفسه .. ان مئات والوفاً من البشر سجناء يقضون الحياة في هذه السجون او القبور وهم فيها كالحشرات يتجمعون بعضهم فوق بعض ضمن تلك الجدران الضخمة المملوءة هواء فاسداً ورطوبة قتّالة

ويلٌ للانسان ما اظلمه وما أبرعه في اختراع كل آلة جهنمية لقتل الانسان . . وما السجن الا احدى تلك الآلات او تلك الآفات ولكنه شرّها جميعاً لانه يقتل الانسان قتلاً بطيئاً وهو فيه كل يوم بل كل ساعة . وهو لو قتل بغيره من تلك الالات لكان الخطب اخف والنجاة من الشقاء أسرع

غير ان السجون قد وُجدت منذ القديم فلا يمكن هدمها او الاستغناء عنها ما دام الشر موجوداً ولا بد لكل حاكم ان يعاقب الجاني اذا جنى ويقيم الحدّ على الشرير اذا اذنب . فله ان يقصيه او يعتقله ليؤدبه ويريح النـاس من شره حيناً . كالجرّاح الذي يقطع من اعضاء الجسم ما كان مؤوفاً ليسلم سائرها . ولكن ما يمكن ان يُعمل الان لخير المجتمع وتهذيبه والتخفيف من هذا الشر هو اصلاح هذه السجون وترتيبها والعنـاية بهـا لتخف وطأتهـا عن الحياة ولا تفوت الخلّة المقصودة منها

ليس القصد من السجون الانتقام والتشفي والقتل كما كانت في العصور المظلمة . وانما القصد منها الان التأديب . فاذا علمتَ ذلك علمتَ ان السجون يجب ان تكون في اماكن صحية . ويجب على القيّمين عليها ان يُعنوا بصحة السجناء — بأكلهم وشربهم ولباسهم ونومهم وسائر احوالهم — . عليهم ان يتعهدوا الغرف التي يقضي فيها السجناء ايامهم ولياليهم فيطهروها من الروائح الخبيثة ويجددوا هواءها ويجعلوا اشعة الشمس ان تنفذها ويعتنوا بتنظيفها وتعديل درجة الحرارة فيها ويجعلوا السجناء في كل غرفة منها على نسبة اتساع تلك الغرفة لا ان يحشروا الناس فيها حشراً ويخنقوهم خنقاً

كان العقاب الوحيد في المدارس عموماً منذ بضع عشرات من السنين الضرب بالعصا . وكان المعلمون يعاقبون التلاميذ بهذه العصا على كل هفوة . غير ان هذا العقاب قد زال الان من اكثر المدارس الراقية وكانت النتيجة خيراً للدارسين . . والسجون — وهي عصا التأديب — كلما قلّ استعمالها واستُغني عنها كان في ذلك صلاح للهيئة الاجتماعية وخير كبير

كل شيء في هذا الوجود يجب ان يرافق سير التمدن والحضارة ويتدرّج الى الكمال بتدرج هذا التمدن . . وقد كانت السجون مما لا بُدّ منه فيما مضى من الادهار . اما وقد خطا البشر خطوات واسعة في طريق الحضارة فصار من المحتم ان تُلغى هذه

السجون او تُصلح او يُبحث عن اسلوب آخر يفي بالغرض المقصود من اقامة الحدّ على المذنب والجاني . واذا كان لا بدَّ من بقائها فيجب ان تُراعى فيها احوال السجناء وآدابهم ويُحرص على ان تكون ذريعة لصلاح اخلاقهم وتقويم ما اختلَّ منها . لا أن تكون كما هي الان ذريعةً لاسترسالهم في الشرور وانحطاط آدابهم الى اسفل الدركات

علمنا من درس احوال السجناء في القدس وعكا ان كثيرين منهم كانوا لا يكادون تنتهي مدتهم ويُطلق سراحهم حتى يعودوا الى السجن — الى بيتهم — كأنهم استمرأوا اكله وشربه وراقهم فراشه الوثير ونسيمه البليل . اذاً لم يكن السجن واسطة لتأديب هؤلاء ووازعاً لهم عن المآثم . وبعد البحث والتحرّي علمنا ان اكثر هؤلاء القوم أُخذوا بجريمة السرقة وذلك لعدم وجود واسطة اخرى في ايديهم لكسب معاشهم فكان تشرُّدهم باعثاً على سقوطهم

تسعون في المئة من السجناء الذين رأيناهم سَرَقة ولصوص . أدّبوا هؤلاء الناس ايها الحكام ولكن برفق . لان اكثرهم لم يسرق الاّ عن حاجة واضطرار . علّموهم في السجن بعض المهن النافعة حتى اذا خرجوا وجدوا باباً للرزق شريفاً ينصرفون اليه . هذّبوا اخلاقهم . علّموهم . اقتلعوا من نفوسهم جراثيم الشر والبطالة وازرعوا مكانها بزور الصلاح والخير وحب العمل . حوّلوا السجون الى مدارس تهذيبية وصناعية فيقل عدد السجناء وتفرغ السجون

أحصينا في سجن القدس ايام كنا فيه نحو الاربعمئة سجين وفي سجن عكا نحو المئة . وقد رأينا النظافة في غرف سجن القدس على اتمّها والادارة منتظمة غاية الانتظام . ولكننا رأينا ان هذه الاثواب الزرقاء الخصوصية التي يرتديها السجناء وارغامهم على المشي حفاةً في السجن وخارجه شدّةٌ يمكن الاستغناء عنها . لان الغاية من السجن هي التأديب لا التعذيب وحفظ كرامة السجين لا احتقاره واهانته الى هذا الحد

رأينا في سجن عكا ان السجناء يتمتعون كل يوم بنزهة ساعتين في حديقة السجن في الهواء المطلق والشمس المشرقة . وكنا نود ان يكون لسجناء القدس مثل هذه الحديقة وهذه النزهة اليومية

رأينا في السجنين ضغطاً شديداً في مسألة التدخين . فالادارة تحظر على السجناء التدخين وتعامل من تجد معه دخاناً او تراه يدخن بالعقاب . جميل هذا المنع لو كان النجاح حليفه لانه يمنع عن السجناء هذه الآفة المضرة . ولكننا رأينا الامر بالعكس . فالسجناء يدخنون ووجوه الحيلة كثيرة لديهم . وتراهم كلهم اصبحوا مَهَرة متفننين في الحرص على ما يكون لديهم من لفائف التبغ او بقايا هذه اللفائف حرصهم على انفس الاشياء . ومهما بحث مأمورو السجن — وقد يتجاوزون كل حدّ في هذا البحث — فانهم يظلون مغلوبين ولا يستطيعون الاهتداء كل مرة الى المخابئ التي يعرفها السجناء ويتفننون في اختراعها كأن كل قوى عقلهم من اول يوم دخولهم السجن تنصرف الى اختراع امثال هذه المخابئ

لم يعجبنا في السجن ان الادارة تحظر على السجناء المطالعة بحجة ان المطالعة نوع من التسلية . وهذا خطأ كبير في نظرنا . نعم ان المطالعة ضرب من التسلية ولكنها مفيدة . فلماذا يمنعون الفائدة عن السجناء ولو كان فيها تسلية . واذا هم حظروها على السجناء فماذا يظنون ان السجناء يفعلون وكيف يصرفون اوقاتهم وماذا تكون احاديثهم ومسامراتهم ؟ لاشك انها تكون كلها منصرفة الى انتقاد الحكومة والتبرّم منها فضلاً عن انصراف اذهانهم والسنتهم الى كل قبيح من الافكار وبذيء من الكلام . وكنا نتمنى لو كان في كل سجن مكتبة

حافلة بكل ادبي ومهذّب من الكتب والمجلات ليطالع السجناء فيها ما شاءوا و يستفيدوا بقدر ما تتسع لذلك عقولهم

انتقدنا على بعض المأمورين — ولا نقول ابن — الخشونة والفظاظة اللتين يعاملون بهما السجناء ٠٠ وقد يأتي سجين جديد الى السجن فاول ما يتدرونه بالشتم وقبيح الكلام ٠٠ وهذه قحة من المأمور في غير محلها

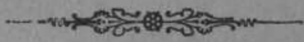
وانتقدنا على بعضهم ضرب السجناء بدون محاكمة و بدون ان يأمر بذلك مدير السجن او مفتشه

ورأينا مرة مأموراً يضرب سجيناً ضرباً مبرّحاً . فسألناه عن السبب . فقال انه لا يريد ان يحمل هذا الحمل . وكان الحمل ثقيلاً جداً . فقلنا للمأمور : وهل تقدر انت او اثنان مثلك ان يحملاه ؟ فخجل المأمور وسكت ٠٠ و «اكل السجين المسكين القتلة » وسكت ايضاً

السنة في سجن القدس تسعة اشهر . والستة اشهر اربعة وهلمّ جراً . اي ان السجين يقضي في سجن القدس ثلاثة ارباع مدته ويخرج . ولم تكن الحالة في سجن عكا هكذا . فالسنة هناك اثنا عشر شهراً كاملة . ولم نعلم حتى الان السر في ذلك

جاءنا مرة سجين ونحن في سجن القدس وطلب عوداً من الثقاب (عود كبريت) فلم نبخل عليه به . ولكننا بعد انصرافه اخذنا في التأمل وقلنا في انفسنا : اننا اعطينا السجين العود ليشعل لفافته بلا شك ولكنه لو ذهب الان واشعل السجن بدل اللفافة مبتدئاً بذلك من ثيابه وغرفته واحترق السجن اخيراً وحققت الحكومة فوجدت ان السجن احترق من عود الثقاب الذي أُخذ منا فهي بلا شك ستجازينا شرّ الجزاء . غير اننا لم نعطِ السجين عود الثقاب ليحرق به السجن . وانما اعطيناه اياه ليحرق لفافته . وعند ذلك خطر في بالنا الخطاب الذي القيناه في يوم الحادثة وما جوزينا به بسبب ذلك ٠٠ اننا خطبنا وليس في نيتنا الثورة كما اعطينا العود وليس في نيتنا احراق السجن فاشتعلت الفتنة وأُخذنا نحن

هذا بعض ما علق في الذهن من حوادث السجن بسطناه لتفكهة خواطر القراء وحفظه تاريخاً لحادثة ٤ نيسان المشهورة ونحن لو اردنا الاسهاب لامتدّ بنا نفَس الكلام الى ما يملاء مجلداً برمته . والله المسؤول ان يجعل هذه الحادثة خاتمة امثالها و يقي البلاد من كل مكروه و يسدّدنا جميعاً الى ما به عموم النفع بفضله عزّ وجلّ وحسن توفيقه



التربية والتهذيب

من الناس من ينكر على التربية سلطانها ويجحد اثرها البيّن في الخُلق . — ومنهم من يقول بتأثير لها محدود

وان منهم لفريقاً يعتقدون بان الوراثة هي الاصل والتربية الفرع . وفعل الاولى جوهري والثانية عرضي . ويعتصمون بقول القائل (الطبع يغلب التطبع) أعتصامهم بالجبل

***

تلك اراء قالت ببطلانها التجارب وافصح عن فسادها العلم بآياته البينات

يُخلق المرء طفلاً صغير الجرم ، ضعيف الجسم ، رقيق العظم ، لين الظفر . لا تقوى رجلاه الضعيفتان على حمله . ولا اجهزته الدقيقة على هضم الطعام وتمثيله . تعجز حواسه عن ادراك الاشياء . غير ان الطفل لا يبقى كما كان في مستهل ربيع الحياة بل يتطور من حال الى حال . فيكبر جسمه ويشتد عضله ولا سيما بعد الفطام اذ انه يضطر الى تناول اطعمة مختلفة . فتنمو اجهزة الهضم فيه وتتكامل شيئاً فشيئاً . يعبث

ما يقع تحت يديه ، يزحف ثم ينتصب قائماً فلا يلبث ان يهوي بعد خطوات فيبكي تارةً ويتألم اخرى . يسمع الفاظ الفرح وعبارات الغضب ويرى اثرهما في محيا والديه فيفرح اذا ناغوه ويغتم اذا اغضبوه . تنطبع كل هذه الحالات في مخيلته انطباع الصورة في المرآة الوضيئة فيصبح يشعر بما يحيطه ويفكر فيما يجاوره ولا يزال كذلك حتى يأتي عليه الربيع السادس اوالسابع فيتكوّن فيه ما ندعوه «بالخلق» وهذا ان خيراً فخير وان شراً فشر

من ثم يفكر وليّ الطفل في تهذيب طفله . الان يشعر بوجوب تربيته وتثقيفه . غير انه يجهل ان الوقت قد مضى والساعة قد فاتت . وما ذلك الا لان الطفل اصبح ذا خلق خاص به يميزه عن غيره ويصعب عليه الاقلاع عنه او عن بعضه . يقف المربون امام خلق هذا الطفل وقفة الحائر الواجم لا يبدون حراكاً . ويستعصي على التربية تقويم بعض ما اعوج من خلاله واصلاح ما فسد من خلقه فنسيء الظن بالتربية ونتهمها بضعف التأثير وقلة المفعول

نجهل ان الطفل ان لم يرضع افاويق التهذيب من اول دقيقة يدخل فيها هذا العالم يصعب اصلاحه : ثم نسيء الظن بالتربية ! . .

خذوا طفلاً من أسرة مهذبة وضعوه بين اقران سُقط الاخلاق . ذروه بينهم يرضع لبان الاخلاق الذميمة والعادات السيئة حتى ييفع — ثم ماذا ترون ؟ الا تقع نواظركم على الدناءة والخساسة ؟

انتشلوا ابن المتشرد من سريره وألقوه في حضن أسرة شريفة فاضلة الاخلاق ثم ارجعوا اليه بعد حين — الا ترون ولداً صالحاً فاضل الاخلاق حسن الطباع ؟

تلك هي التربية التي جعلت المتشرد صالحاً والصالح شريراً مع علمنا ان بين اخلاق الصالح وطباع المتشرد فرقاً عظيماً وبوناً شاسعاً

* * *

انا لا اقول بان (الوراثة) لا تأثير لها — كلاّ بل ان لها شأناً كبيراً في التربية لا يستهان بجزء منه . الاّ انني اقول وعقيدتي راسخة في هذا القول : ان تأثير التربية في الوراثة لعظيم جداً . وهذا جليّ كالشمس المشرقة فيما انتقل الينا من آبائنا واجدادنا من الاخلاق . ومثالاً لذلك نقول :

ان الطباع التي انتقلت من الجد الخامس من اسرة ما الى الجد الرابع منها قد تعهدتها التربية قبل انتقالها . وكذا الحال فيما انتقل من الجد الرابع الى الثالث ومنه الى الجد الثاني ومنه الى الجد الاول ثم الى الوالدين . فيأخذ الابن ما يأخذه عن والديه من الطباع وما هي الا لباب ما تخلق به اولئك الاجداد من الاخلاق التي عملت فيها التربية في كل دور من ادوارها

ولذا لا نتردد في القول : بان التهذيب عظيم التأثير على الخلق عاجلاً كان او اجلاً وان نطاق تأثيره منفرج الاطراف متناهي الاكناف

* * *

وما هذا برأي جديد ابتكرته ادمغة المتأخرين من علماء التربية . بل هو عقيدة فئة كبيرة من العلماء الغابرين . ومنهم ارسطو الذي نقل عنه ابن مسكويه في كتابه تهذيب الاخلاق ما يأتي :

«ان الشرير قد ينتقل بالتأديب الى الخير» وقال ابن مسكويه ايضاً : «ان تكرير المواعظ في التأديب واخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لا بد ان يؤثر ضروب التأثير في ضروب الناس . فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة بابطاء» وقال في غير هذا الموضوع :

«انا مطبوعون على قبول الخلق وننتقل اليه بالتاديب والمواعظ إما سريعاً او بطيئاً»

* * *

انه لقول صائب ورأي ثابت ما اقربه الى الحقيقة بل ما اشبهه بها. ولو لم يُعمَل به لتلاشت الفضيلة وخلفتها الرذيلة ولعم الكونَ الفسادُ. ولولاه لما قام علماء التربية متقدموها ومتأخروها يطالبون الآباء بتربية الابناء!..

رشدي شعث



الوارث

« تابع للصفحة ٢٨٠ من هذا الجزء »

قال — غداً تكون لك هذه الفراشة. وستكون من الانواع التي لا يستطيع الكولونيل ولا عشرة من امثاله ان يقدموا مثلها

قالت — قدم لي غداً الفراشة وادفع اجرة المنزل عن سنة كاملة ولا اريد شيئاً غير ذلك الان

فوعدها وجلس واياها بعد ذلك في مخدعها يتطارحان من حديث الهوى ما كان ارق من النسمات واشجى من تغريد الاطيار. وقد سألته استير في اثناء ذلك عن حاله مع عروسه فقال — انها عروسي بالاسم وستكون زوجتي كذلك. لان لا عروس ولا زوجة ولا حبيبة لي سواك. وانا افضل صحبتك على كل ما في العالم من دواعي المسرة واللذة

فضحكت استير ثم قالت — ولكن لم تقل لي ماذا كانت هدية الخطبة لنجلاء

قال — حلى من عمي بقيمة ثلاثة آلاف جنيه. وكم كنتُ اتمنى لو كانت هذه الهدية لكِ لا لها

قالت — وهل اعطاها عمك بائنة (دوطة)؟

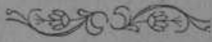
قال — نعم وقد اعطاها عشرة آلاف جنيه

قالت — انه كريم جداً وليس بخيلاً كما كنت تدعي

قال — انه بخيل الا في بعض احوال لا يريد ان يظهر فيها الا بما يليق بمقامه من الوجاهة والنبل

وطال جلوس عزيز عند استير. وقد تناول واياها طعام الغداء وشربا من الخمور المعتقة الفاخرة حتى سكرا. ولم يعد عزيز الى المحل الا العصر. وقد عاد وهو هائم الافكار شارد اللب

واغتنم فرصة اخرى في اليوم التالي فذهب واشترى لاستير فراشة من الالماس من احسن الانواع واثمنها وذهب فقدمها اليها. وكان سرور استير بهذه الهدية عظيماً جداً وقد قدرت ثمنها بما لا يقل عن المئة جنيه. وكان تقديرها صحيحاً



١٤

وكان اليوم الذي عيَّنه الشيخ نعمان لزفاف نجلاء الى عزيز قد ازف وتمت المعدات اللازمة لذلك. وكان الشيخ اكثر بقية اهل البيت اهتماماً بهذه الحفلة. وكان قد استرد عافيته وصار في امكانه ان ينزل عن سريره ويمشي في ارض الغرفة بلا مساعدة احد. فكان كأنه انتفض من كفنه او ملَّ خيال الموت مجاورة بدنه

ولم تكن مريم باقل اهتماماً منه ولا سيما فيما يتعلق بزينة نجلاء وترتيب غرف المنزل. وكان صوتها يدوي في جميع الغرف والردهات كالنحلة الزرقاء في يوم قيظ، لا يقرُّ لها قرار ولا يسكن لها طنين

اما عزيز فكان ينظر الى كل هذه الاستعدادات بازدراء ولم يكن يهمه شيء منها. ولم تكن نجلاء باكثر اهتماماً منه فكانت تنظر الى كل اهتمامات والدتها بخلو البال وعدم المبالاة. وكانت كلما ازدادت والدتها انهماكاً تتمادى هي في الكآبة والقلق وقد بدت على محياها سمات اليأس فلم تفارقها اياماً. وكانت كلما رأت عزيزاً تسري في جسمها رعشة ويستولي عليها الاضطراب

ولما تم كل شيء أقيمت حفلة الاكليل بحضور جمهور كبير من اصدقاء اسرة الحلبي في مصر. وتلا الحفلة مأدبة فاخرة أحييت في المنزل وكان الشيخ نعمان احد جلوسها

وانقضى الهزيع الاول من الليل ومجالي الانس على اتمها في ذلك المنزل. ثم اخذ المدعوون ينصرفون والكل في احسن حالات السرور والطرب

وما تناصف الليل حتى غرق جميع من في المنزل في سبات النوم

الاَّ عزيزاً . فانه كان قلقاً مضطرب البال وقد اضطجع في سريره يوهم نجلاء وغيرها من اهل المنزل بانه نائم . ولما مضت ساعة دون ان يسمع صوتاً ولا حركة نهض فارتدى ثيابه وخرج من مخدعه ثم من المنزل خلسةً وانطلق يعدو الى منزل استير

ظن عزيز ان اهل البيت لم يشعروا بخروجه . غير ان نجلاء لم تكن راقدة ولم يغمض لها جفن وقد أحسَّت بخروجه فلم تُبدِ حركة ولكنها لم تلبث ان رأت نفسها مغلوبةً مقهورةً فبكت بكاءً مراً

* * *

وكانت استير في تلك الليلة بعد ان انتهى التشخيص على جاري العادة قد عادت الى منزلها وفي صحبتها عمتها . وما كادت تخلع ثيابها وتضطجع في سريرها حتى سمعت جرس المنزل يُقرع . فهبَّت مذعورة . وقد تأكدت ان القادم لزيارتها في مثل هذا الوقت لا يكون الاَّ عزيزاً . كانت راحيل قد فتحت الباب . واذا بعزيز نفسه قد دخل وركض الى مخدع استير وهو يقول — ها انيّ جئتُ كما وعدتُ فهل يكفيك هذا البرهان على ولائي ياعزيزتي ؟

فدفعتهُ استير عنها وقد قطبت حاجبيها وقالت — ولكنه برهان على جنونك وسوء تدبيرك . فهل تدري ماهو جارٍ الان في منزل عمك من الاضطراب الشديد ؟

قال — ولكنني اردتُ ان ابرهن على شدة تعلقي بك وعدم ايثاري احداً عليك

قالت — وقدبرهنت على عكس ما اردت وسترى عاقبة ذلك بعينيك

قال — لتكن العاقبة مهما كانت . فانا الان لا أهتم بأحد ولا يهمني شيء

قالت — واذا عرف الشيخ وحرمك الميراث ؟

قال — وكيف يحرمني وقد فعلتُ ما اراد وتزوجتُ بابنته ؟

قالت—واي زواج هذا اذا كنت تبرح منزلك وتغادر عروسك في الليلة الاولى من عرسها ؟

قال — ولكنها ليست عروسي الاَّ بالاسم وانا لا اعرف سواكِ ولو حال دون ذلك الثقلان

قالت — اذا كنتَ تحبني حقيقةً فعُد في الحال الى منزلك واجتهد ان تتلافى الامر والا فان الشيخ يحرمك الميراث بلا شك

قال — وكيف يستطيع ان يفعل ذلك ؟

قالت — انه يستطيع ان يفعل ما شاء في اي وقت شاء ويكتب كل ميراثه باسم ابنته

قالت هذا وضمته الى صدرها ثم قبلته لتتخلص منه ودفعته جهة الباب وهي تقول — عُد سريعاً الى منزلك

* * *

وعاد عزيز وهو يتمايل في سيره كالنشوان . ودخل المنزل وهو يقدّم رجلاً ويؤخر اخرى . فرأى الانوار تسطع والقوم في اشد حالات القلق وقد ساد الاضطراب وبهت الجميع من الحزن والغم

وما دخل حتى استقبله الشيخ وعيناه تقدحان شرراً وصاح به — الى اين خرجت في مثل هذه الساعة ايها اللئيم ؟

وكان عزيز قد جمد الدم في قلبه عندما رأى اهل البيت في هذه الحالة . وكانت نجلاء ينهم وعيناها سابحتان في الدموع . فوقف مطأطئ الرأس وهو لا يدري اي الاعذار يبدي وقد تلعثم لسانه

فقال له الشيخ — خذ الان عروسك واجتهد ان تكفكف دموعها وغداً تجيبني تفصيلاً

وأدرك عزيز بلحظة واحدة عظم الامر وما جرَّه على نجلاء من الاهانة والويل . فشعر بعاطفة خصوصية نحوها ولم يدر كيف يلاطفها ويسلّيها . ولكنه اخذها بيدها وسار وهو يسمع تنهداتها المحرقة . وكان كلّ من في المنزل قد استنكر عمله ورثى لحال نجلاء معه

ولما اجتمع عزيز في الصباح التالي بعمه تلقاه عمه بمزيد الكدر وقال — لا اريد ان اسألك الان اين كنت امس ليلاً . ولكني اقول لك وأُشهد الله على قولي انك اذا لم تترك اعمالك السابقة وتتخلص تماماً من تلك الفتاة . . فاني أكتب وصيتي باسم نجلاء ولا اعود اعتمدك في شيء . فاختر لنفسك ما يحلو فاما ان تكون لنجلاء الزوج المحب الصادق او استعدّ لتسمع حكمي الاخير



١٥

مضت الايام على ذلك وعزيز لا يخرج من المنزل وقد انصرف بجملته الى استجلاب رضى عمه . وكان قد أُعجب بصفات نجلاء واخلاقها فاحترمها وصار يجلس اليها احياناً يتحادثان او يخرجان الى النزهة معاً وقد أعجبه في نجلاء على الخصوص انها كانت اذا رأت منه نقصاً تكتمه

عن الشيخ وعن والدتها او اذا رأت الشيخ حاقداً عليه لسبب ما تسعى لازالة هذا السبب او ملافاته وتنتصر لعزيز بكل اخلاص

واشتاق عزيز ان يذهب في احد الامساء لحضور التشخيص في المسرح الذي كانت تشخص فيه استير وخطر له ان يأخذ معه نجلاء ليتمكن من الحضور ولا يتعرض لغضب الشيخ . فعرض عليها ذلك فلم تمانع فأخذها وهي لم تعلم غايته واتخذ مقصورة (لوجاً) في المسرح جلس واياها فيها . وكان التشخيص لم يبتدئ فترك نجلاء في المقصورة بحجة انه رأى احد غرماء المحل فلا بد من مواجهته لامر ذي بال واسرع الى غرف الممثلين وسأل عن استير فقيل له انها لم تحضر بعد وقد جاءت عمتها وحدها . فأسرع عزيز اليها وسألها عن استير فقالت — انها ذهبت في عربتها للنزهة ولم تعد بعد

قال — وهل ذهبت وحدها ؟

قالت — ان الكولونيل جاء ودعاها الى العشاء في احد الفنادق فذهبت في صحبته ولا يلبثان ان يعودا

فعض عزيز شفته حتى أدماها وخرج من الغرفة يريد ان يعود الى حيث ترك نجلاء واذا باستير داخلة وقد تأبطت ذراع الكولونيل . فلما أبصرت عزيزاً ولم تكن تتوقع ان تراه أظهرت سروراً عظيماً ودعته للدخول معها الى الغرفة . وتقدم الكولونيل يريد ان يسلم عليه ويهنئه فأشاح عزيز عنه بازدراء وهو يتظاهر بانه لم يسمع شيئاً . وكانت استير قد لحظت منه ذلك فاستاءت وقالت له همساً — لا اسمح لك بان تهين الكولونيل الى هذا الحد

قال — وانا لا اسمح لاحد ان يطمح ببصره اليك ولا اطيق ان أرى رجلاً قريباً منك فكل من يجسر ان يدنو منك او يرافقك يكون عدوّي ولا اتأخر ان انشب اظفاري في عنقه

قالت — وانا لا أطيق ان تهين الكولونيل او غيره ممن يكونون في صحبتي او له علاقة بي .

قال — اذاً فانت اغتنمت فرصة غيابي عنك هذه الايام القليلة وأخذت تعيشين مع الكولونيل وامثاله على هواك

قالت — انا حرّة ان أعيش كما اشاء وليس لاحد ان يقيّد حريتي او يسيطر عليّ

قال — بل لي ملء السلطة عليك وقد وعدت ان لا تعرفي احداً سواي ولا يكون لك علاقة باحد غيري وانا قد خدمتك بل عبدتك كل هذه المدة . وقد تورطتُ في الديون لاجلك . ولاجلك تزوجت ولاجلك انا مستعد ان أبيع روحي للابالسة . وانت تقابلين الآن كل ذلك بعدم المبالاة وترافقين هذا وذاك الى كل مكان .

قالت — اخرج الآن من هنا وحسبك هذياناً لان وقت التشخيص قد حان وسنتكلم في غير هذا المكان

فخرج عزيز وهو في اشدّ حالات التهيج وعاد الى نجلاء وهو يتميز من الغم وقد اشتعل صدره بنار آكلة . وكانت نجلاء قد ملّت الجلوس وحدها واستاءت من معاملة عزيز لها هذه المعاملة ولم تتمالك ان بكت ورأى عزيز دموعها فندم على تركه اياها وجلس الى جانبها يلاطفها ويعتذر وهو ينتحل اسباباً كثيرة لغيابه . وقد عزم ان يكون هذا المساء كثير اللطف معها ليقهر بذلك استير وينتقم منها .. وقد آلى على نفسه ان لا يصفق لها حينما تخرج للرقص او الغناء

ولما خرجت استير ورقصت وقد دوى المكان بالتصفيق سأل عزيز نجلاء — هل انت مسرورة ؟ وهل اعجبتك هذه الممثلة برقصها ؟

فقالت نجلاء — كلاّ لم تعجبني لانها قليلة الادب برقصها وحركاتها وانا لا احب ان احضر امثال هذا التشخيص وهذا الرقص ولا احب ان انظر الى هذه الاثواب التي تلبسها هذه الراقصة ورفيقاتها

قال — وهل تؤثرين الرجوع الى البيت ام نبقى بعد قليلاً

قالت — بل نرجع حالاً اذا احببت انت ذلك

قال — هيا بنا

وعاد الاثنان بعد ذلك في عربة وعزيز يساير نجلاء ويسامرها بكل لطف واخلاص . وكان الشيخ لا يزال ساهراً فدخلا الى مخدعه وسهرا عنده دون ان تذكر نجلاء شيئاً عن التمثيل والممثلات . وكان الشيخ قد ارتاح الى سلوك عزيز في الايام الاخيرة واطمأن باله من جهته بعض الاطمئنان وتوقع ان ينسى عزيز كل ماضيه ويعيش مع نجلاء افضل عيشة

***

وفي اليوم التالي انطلق عزيز لزيارة استير وكان قد ندم على شراسته معها الليلة الغابرة فأحبّ ان يسترضيها . ولما دخل المنزل استقبلته استير بعبوسة ولم تمد اليه يدها ليقبلها كالعادة . فقال لها — يظهر انك ساخطة عليّ ايتها الحبيبة وليس لك حق في ذلك لانني لم اقل لك ما قلتهُ امس الاّ من شدة غيرتي عليك وحبي لك

فنظرت استير اليه شزراً وقالت — ولكنك تجاوزت كل حد في الكلام وقد أهنت الكولونيل وهو لا يستحق منك هذه المعاملة

قال — كيف لا يستحق وهو يتردد عليك ويرافقك الى كل مكان

قالت — واذا كان ذلك كما تقول فاي حرج عليَّ وانا ممثلة ومن واجباتي ان اساير الجميع ؟ انت الان متزوج ولا تستطيع ان ترافقني الى كل مكان فهل تريد ان أعتزل كل الناس وأعيش منفردة ؟

قال — ولكن زواجي لم يكن الاَّ بارادتك ورضاك . وقد رضيت انا به لخدمتك فقط . واذا كنتُ هذه الايام لم أزرك فذلك رغبةً مني في استرضاء الشيخ فقط لنبلغ اخيراً المرام

قالت — ليكن زواجك كما تشاء ان يكون . ولكنك تزوجت فهل قدَّمت لي هدية في يوم العرس ؟ هل قدَّمت لي مبلغاً من المال لنفقاتي ما دمت مضطرًّا ان تفارقني هذه المدة ؟ ألا تعلم العادة ان كل من كان له خليلة وتزوج بغيرها عليه ان يرضيها اولاً ويضمن حياتها ؟ فماذا دفعت اليَّ لذلك ؟

قال — ولكن هداياي ايتها الحبيبة لم تنقطع عنك كل هذه المدة سواء كان ذلك قبل الزواج او بعده . واما المال فلست في حاجة الى شيء منه لاني قائم بجميع نفقاتك

قالت — اي نفقات هذه ؟ فقد جاءت امس الخياطة تطلب اجرتها ولو لم يكن الكولونيل هنا ونقدها ما طلبت لكنتُ في موقف حرج معها

قال — ولماذا قبلت منه ذلك ؟ خذي مني ما شئت من المال ولا تطلبي من احد شيئاً . . فهذه خمسون جنيهاً الان

قالت — اشكرك . لا اريد الان شيئاً

وقد قالت استير ذلك باستياء . فقال عزيز — اذا كان هذا المبلغ قليلاً فخذي مئة

قالت — ولا مئة . وانما اريد ان تعطيني مبلغاً كبيراً حتى لا اكون في حاجة الى احد الان او بعد الان

قال — سأعطيك قدر ما تشائين ولكني ارجو ان تصبري الى ان اصبح ربَّ المحل

قالت — انت الان غني لان زوجتك غنية ومعها مال كثير فتستطيع ان تأخذ منها ما شئت الى ان يموت عمك

قال — هذا غير ممكن لاني لا اريد ان اطلب منها شيئاً .

قالت — اكتب لي اذاً صكاً بمبلغ يضمن سعادة مستقبلي وحينئذٍ لا اعود أسألك شيئاً من امثال هذه النفقات الصغيرة

قال — سأكتب لك ما تريدين وآتي الليلة القادمة الى المسرح فنتناول طعام العشاء معاً

وافترقا بعد ذلك وقد نسي عزيز استياءه امس ولم يبق في مخيلته الا صورة استير وفي قلبه الا حبها



١٦

ولما كان اليوم التالي ذهب عزيز الى المحل على عادته وقضى نهاره وهو مشرَّد الافكار لا يعلم ماذا يهيئ من الاسباب ليتمكن من الاجتماع باستير كما وعد

وقد ذكر وعده ايضاً بتقديم صك لها بمبلغ كبير من المال تضمن به حياتها . فرأى ان يزور ناثان ويستشيره في الامر وفي صيغة الصك . وفي الحال خرج من المحل وكان على بابه عربة فركبها وانطلق الى منزل ناثان

وكان ناثان يظهر لعزيز كل صداقة واخلاص . فلما افضى اليه عزيز بالامر اطرق قليلاً ثم قال — ارى ان تكتب لها صكاً بمبلغ الفي جنيه وهو اقل ما يمكن ان يقدّمه من كان في مقامك لخليلته . واظن ان استير متى رأت منك ذلك تقف قلبها على هواك ولا تعود تبالي باحد سواك او تنظر الى غيرك

فقال عزيز — ولكني رأيتها في المدة الاخيرة قد تغيَّرت كثيراً وصارت مقصداً لغيري من الهائمين بها

قال — لا تبتئس لهذا . فهي ولو ظهرت بهذا المظهر احياناً فانها لا تحب سواك ولا تؤثر عليك احداً وقد سبرت سارة غورها وعرفت سرَّها

قال — وهب انها على ما تقول غير اني لا احب ان تكلم احداً او تقبل زائراً غيري

قال — عليَّ تدبير هذا الامر . فقدم اليها الان الصك وانتظر ما سيكون

وبعد هذا كتب عزيز الصك كما املاه عليه ناثان . وقد جعل المبلغ فيه الفي جنيه تعهد بدفعها في اي وقت تريده استير . ثم ودَّع وعاد الى المحل ومنه الى منزله حيث اجتمع بنجلاء وبيَّن لها اضطراره الى الخروج من المنزل في السهرة لان شغلاً في غاية الاهمية يستدعيه لذلك . وبعد

ان تناول واياها طعام العشاء وسهرا قليلاً في مخدع الشيخ خرجا . فسارت نجلاء الى حجرتها وخرج عزيز لشأنه

***

ولما انتهى التشخيص في المسرح اسرع عزيز الى غرفة الزينة المختصة باستير وقدَّم اليها الصك . وكانت استير تتوقع قدومه تلك الليلة وتنتظر منه هذه التقدمة . فاستقبلته باشدّ عواطف الحب وقبلته طويلاً وشكرته كثيراً وقالت — هذا ما كنتُ أبغيه منك ايها الحبيب ان تضمن لي مستقبلاً سعيداً وعيشاً رغيداً . ولما كنتُ الان في اعظم حالات السرور فارجو ان تكون ليلتنا هذه ليلة انس نادرة المثال نقضيها في سرور وطرب مع جمهور من الاصدقاء . وليكن الاجتماع هنا في المسرح . فأشعر المدير بذلك واطلب من قيّم المسرح ان يهيئ الشراب والطعام لنحو عشرين شخصاً وانا أدعو رصفائي الممثلين والممثلات وغيرهم ممن يقودهم حظهم الى هنا . و بعد المأدبة تذهب معي الى منزلي

قال — السمع والطاعة يا سيدة الملاح

قال هذا وخرج فاجتمع بقيّم المسرح وأخبره بما يلزم . ولما عاد رأى استير جالسة الى مائدة كبيرة في غرفة رحبة من غرف المسرح وحولها بعض الممثلين و بعض معارفها وفي جملتهم الكولونيل وغيره من الذين كانوا يتغزلون بها ويتردَّدون عليها . فانقبض عزيز حينما رآهم وظهر ذلك على وجهه . وكان الكولونيل قد جلس بازاء استير عن يمينها وجلس غيره عن يسارها وكانت هي تباسط الجميع وتضحك للجميع ولكنها خصَّت الكولونيل باهتمامها

وكان عزيز قد همَّ ان يهين الكولونيل بلواذع الكلام ولكنه تجلَّد وكظم غيظه لئلا يكدّر بذلك استير . فجلس الى الطرف الاخر من المائدة واخذ يسامر من كان على جانبيه من الممثلات زاعماً انه بذلك انما يضرم نار الغيرة في قلب استير . وكانت هي تنظر اليه من حين الى آخر وتضحك ثم تختلس النظر تارة الى الكولونيل واخرى الى غيره وتتهكم بعزيز وتتغامز مع جيرانها في الجلوس عليه . وكان عزيز كلما لحظ منها مثل ذلك يمتلئ حنقاً وكمداً

ثم حضر الشراب ودارت بين القوم الكؤوس واخذوا يطربون ويلهون . وكان عزيز يشرب كثيراً و يقدم لاقرب الجالسين اليه و يشرب انخابهم و يشربون نخبه حتى لعبت الخمرة برأسه فأخذ يرفع صوته في الكلام و يرمي الكولونيل بكلمات الازدراء . وقد سمعت استير بعض كلامه فانقبضت ولكنها اخذت تشاغل الكولونيل بالحديث فلم ينتبه . غير ان عزيزاً لم يسكت بل زاد استرسالاً في التهكم والازدراء واخذ يقهقه ويصخب اكثر من الاول وهو يتمادى في الشرب وقد احمرَّت مقلتاه واصفر لونه وكان قد شرب تلك الليلة ما لم يشربه في حياته قط

ولم تكن استير رأته في مثل هذه الحالة قبلاً فخافت ان يغلب عليه الشراب فيخرج عن طور التعقل و يعكر على الجميع صفاء الاجتماع . فدعته الى الجلوس بجانبها . فأبى وقال — تمتعي انتِ بمفاكهة الجالسين حولك وانا هنا مسرور باصدقائي

فقطبت استير حاجبيها وامسكت عن الكلام وصارت تود ان ينتهي القوم من الشراب ويُؤتى بالطعام

غير ان عزيزاً لم يعد يعي شيئاً وكأنَّ الخمرة أفقدته رشده فطفق يقف ثم يجلس وهو يتكلم ويصيح ويضج و يبدي اشارات التهديد والوعيد و يرمي الكولونيل بنظرات تشفُّ عن اشد الكراهية والبغضاء وحب الانتقام حتى لحظ الكولونيل ان كلَّ ذلك موَّجه اليه فهاج الدم في رأسه ولم يعُد في طاقته الصبر على الاهانة لولا ان استير بادرت الى تلافي الخرق قبل اتساعه وسألت الكولونيل ان لا يحفل بشيءٍ من كلام عزيز واشاراته لانه سكران . ثم التفتت الى عزيز ودعته مرة اخرى الى الجلوس بجانبها على امل ان يهدأ و يلهو بها . فأبى وقال وهو يقهقه — لا ياسيدتي دعيني هنا . وليجلس الى جانبك من هو احق بك مني . فمعه اخذت هذه الايام تخرجين الى النزهة وتتناولين طعام العشاء في الفنادق ومعه اجلسي الان

فأشاحت استير بوجهها عن عزيز ولم تجبه وهي لا تدري ماذا تفعل لتسكين اضطرابه

ورفع الكولونيل في هذه اللحظة كأسه وشرب نخب استير ودعا الحضور الى مشاركته في شرب هذا النخب . فشرب الجميع الاَّ عزيزاً . فقالت له استير وهي تُظهر انها تريد مداعبته — وانت مالك لا تشرب نخبي ياعزيزي ؟

فقال — لا اريد ان اشرب هذه الليلة نخبك ولا ان اقول شيئاً مادام كل واحد من اصدقائك اصبح بارعاً في القول وهو لا يجود الاَّ به

قالت — يظهر انك شربتَ كثيراً حتى اصبحتَ كالمجنون لا تدري ما تقول

قال — حقاً اني اصبحتُ مجنوناً وأي مجنون يا استير فلا تلوميني

ولما قال هذا ضرب على المائدة بعنف بيده فوقع بعض الكؤوس وأباريق الشراب . وكان ذلك اكثر ما يمكن استير احتماله فأمرت الخدم برفع آنية الشراب واحضار الطعام

وكان عزيز قد فقه امرها فنهض وهو يترنح وعيناه تقدحان شرراً ولم تعد ركبتاه تقويان على حمله فسقط الى الارض وفي سقوطه أمسك بطرف ملاءة المائدة وجذبها فوقعت ومعها جميع آنية الشراب وقد تحطمت الانية وجرى الشراب على الارض ولم يعد عزيز يعي شيئاً . وقد استاء كل من حضر ولم تعد استير تودّ البقاء فخرجت وهي ثائرة النفس وعادت الى منزلها والكولونيل في صحبتها . وحمل بعض الحضور عزيزاً الى منزله وهو في اشدّ حالات السكر

(تتمة هذه الرواية سنرسلها الى حضرات المشتركين في ملحق خاص)
(قريباً ان شاء الله)



اقوال الكبار

(من مقالة لحضرة الكاتب الفاضل الشيخ الياس الظاهر)

* اذا اردت ان تنجز عملاً ، ففكّر به — اولاً — واهتم له — ثانياً — واسرع في انفاذه — ثالثاً — وانا الكفيل لك في النجاح

* واذا شرعت في عمل ، فلا تفاخرنّ قبل انجازه ، فلعله امتنع عليك وانت في اول الطريق ، فيسخر منك حتى اعز الخلق لديك — اخوانك — وتكون قد جلبتَ الاهانة على نفسك ، وفقدت مركزك — ثقة الناس بك — ، وأضعت عمالك ، ووقتك ، ومالك

* قال بيتاكوس لتلاميذه : لا تسيئوا الظن باحد — وبعض الظن اثم — ولا تقولوا فيه كلمة سوء — ولو عدواً — فلربما انقلب الصديق . . . وعليكم بالعفة ، والزهد ، والصدق ، وطاعة الله ، وحفظ ما اؤتمنتم عليه ، من الودائع والامانات ، حتى تؤدوها الى اهلها ، ولا تبوحوا بالسر ابداً ، فانكم لاتجدون اميناً — تفتحون له خزائن صدوركم — مهما بحثتم في الارض

* اقتدوا بمن يشرفكم الاقتداء بهم ، واياكم والتسرع في القول ، فانه من دواعي الهوس والجنون . ولا تُعجزوا اصحابكم ، وخير لكم ان تُجبَروا على ما يُقدّم لكم ، من ان تُجبِروا انتم عليه . ولا تتصدوا لما لا تستطيعون القيام به ، واذا عزمتم على عمل فأنجزوه بملء الهمة

* قال بياس : يُشكر الانسان على صفاته لا لغناه ، فالدنيا لا خلود بها ، وهدية الخالق الثمينة ، هي العافية ، والغنى امر اتفاقي ، قابل للزوال

* كان باتاندروس يقول : اذا مال الانسان الى عمل وانصرف بكليته اليه ، فقد انجزه بنجاح يؤجر عليه

حفلة تذكارية

أحيا خريجو الكلية السورية الاميركية ليلة الخامس من شهر آب الماضي حفلة تأبينية في القدس للمرحوم المغفور له الدكتور هورد باس رئيس الكلية . وكانت هذه الحفلة تحت رعاية المندوب السامي . وقد حضرها فخامته وجمهور كبير جداً من السراة والادباء . وتعاقب فيها الخطباء يعددون مآثر الفقيد الكريم . وقد خطب بعضهم بالعربية والبعض الآخر بالانكليزية واجادوا كل الاجادة : والى القراء الان المرثاة الشائقة التي تلاها السيد وديع البستاني احد الخطباء وكان لها اعظم وقع في نفوس السامعين . وسننشر في الجزء القادم الخطاب الذي تلاه السيد عادل جبر في (الكلية وآثارها) وكل آتٍ قريب . وهذه هي المرثاة :

نحن نطوي من الحياة السنينا	ومن الموت ساعةٌ تطوينا
يخفق القلب هزةً واضطراباً	أمدَ العمر ثم يهفو سكونا
ولكم نُبصر الحياة يقيناً	مثلما تبصر العيون العيونا
ونرى الموت في الحقيقة شكاً	يتبدّى حيناً فيُخفي اليقينا
ولكم نعشق الحياة عروساً	تعشق الموت صاحباً وقرينا

كان يومٌ. ولم نكن. ثمّ كنّا. ثمّ ها نحن . ثم لا لن نكونا
يومنـا يومنـا الوحيد وفيه نحشر الدهر كله والقرونا
نجتلي نجمنـا يهمّ أفولاً او نحييه طالعـاً ميمونا
ما نُرِده نكنه. والبيت ندعو ه وجاراً حيناً وحيناً عرينا
ما نُرده نكنه . والعيش ندعو ه إباءً حيناً وحيناً هُونا
ما نُرده نكنه . والعمر فُلكٌ ليس من غير مالنا مشحونا
ما نرده نكنه. خلقاً سوياً فيه روح أو لا فماءً وطينا
يابني أمتي من الشعر سحرٌ غير اني اقول قولاً مُبينا
وُلِد الدين في حمانا وها قد أصبح الدين في حمانا دفينا
وبأم الدنيـا وُلِدنا وها قد نبذتنـا وأنكرتنـا بنينـا
يابني أمتي النيـام أفيقوا قد هجعتمْ من السنين مئينا
في سبيل الدنيامع الدين موتوا تُبعثوا في الانام دنياً ودينا
هكذا مات خالدالذكر والمجـ ـد(هوردٌ)في قرننا العشرينا
اجنبيٌّ عنا . لنـا عاش . فيما بيننا. فاحسبوه منّا وفينـا

ضاق نطاق هذا الجزء عن الاثار الادبية وكثير من المقالات الاخرى المعدة للطبع . وموعدنا بكل ذلك الجزء القادم ان شاء الله

ختام السنة السابعة

بهذا الجزء تودّع النفائس سنتها السابعة وتستعد للدخول في الثامنة وهي ناطقة بالثناء العاطر علَى المشتركين الكرام . شاكرة ما لقيته فيهم من الاريحية والمهزة . راجية ان يزداد اقبالهم عليها لتزداد هي نشاطاً في الخدمة وتكون في سنتها الجديدة اجزل فائدة واشدّ عزيمة في سيرها نحو الكمال

وقد كانت السنة الحالية ــ السابعة ــ من حياة هذه المجلة غريبةً بكل شيء :

غريبةً بحجمها ــ لان القرّاء لم يعهدوها بهذا الحجم وهو اقرب الى الجرائد منه الى المجلات . ونحن انما اصدرناها بهذا الحجم لاننا لم نجد لطبعها وقتئذٍ ورقاً ملائماً لحجمها المعتاد . فنشرناها بهذا الشكل مضطرّين غير مختارين

غريبةً بحوادثها وانقطاعها عن القرّاء بضعة اشهر متوالية مما لم يسبق مثله في السنوات التي انقضت من حياتها قبل الحرب . فقد ظهرت ستّ سنوات متوالية لم تحتجب فيها عن مواعيدها . ولا تعرَّضت لشيء من الحوادث كالتي تعرَّضت لها في هذه السنة

غريبةً بصدورها ــ فقد صدرت اولاً اسبوعية . ثم نصف شهرية . ثم شهرية . ــ فكأنها ارادت بذلك ان تجاري الاحوال الحاضرة في تطوُّرها وعدم انتظامها وغرابة حوادثها في كل بقعة من الارض

غريبةً بنفاد اجزائها ــ فما كاد يدخل الشهر الرابع من السنة حتى نفدت نسخ الاجزاء الاولى منها . ولم يبق في الامكان ارضاء المئات من المشتركين الجدد الذين كانوا يطلبون المجلة من بدء سنتها . فاضطررنا الى اقفال باب الاشتراك . الا عن الذين رضوا بالاشتراك من اول النصف الثاني من سنة المجلة

ومعلوم اننا بدأنا السنة السابعة الحالية للنفائس في شهر تموز من السنة الماضية (١٩١٩) وكنا ننتظر بفارغ الصبر نهاية السنة لندخل في سنة جديدة نستطيع فيها ان نختار للمجلة الحجم الموافق ونرضي جميع الراغبين فيهـا . واذا بالحـادث المشهور قد فاجأنا . فحجب المجلة عن قرّائهـا وحجبنا عن العمل بضعة اشهر . الى ان تصرَّمت تلك الاحوال وهدأ ذلك البلبال . فعدنا الى العمل ومدّدنا السنة الى الان . فأصدرنا الجزء السابع عشر الماضي ــ وكان اكثره مطبوعاً قبل وقوع الحادثة . ثم طبعنا الجزء الحالي بهذا الحجم الضخم قضاءً لواجب الذمة وتوفيةً لحقوق المشتركين

وكنا نظن اننا نستطيع ان نفرغ من رواية (الوارث)

فكتبنا منها صفحات كثيرة في هذا الجزء · ولكننا لم نستطع اتمامها كما أردنا ان يكون · ولم يبقَ الاَّ ان نطبع الباقي منها في ملحق خاص نرسله الى المشتركين مع الجزء القادم

اما رواية السنة الجديدة فسيكون عنوانها (ابنة داود) وسنشرع فيها من الجزء القادم · وهي ستكون من أدهش الروايات وأعظمها حوادث وحقائق واكثرها اسراراً وعِبَراً

* * *

وقبل الختام لا بُدَّ لنا من الاشارة الى ما عزمنا عليه من تغيير اسم المجلة في بدء سنتها الجديدة

فقد ظهرت هذه المجلة في عالم المطبوعات في اول تشرين الثاني سنة ١٩٠٨ باسم (النفائس) ثم علمنا ان هذا الاسم مختص بغيرنا من ادباء بيروت بموجب رخصة رسمية نالها ولكنه لم يصدر مجلته الاَّ بعد اشهر من صدور مجلتنا وقد اقام علينا الدعوى بحجة ان له وحده حق تملك استخدام هذا الاسم فاضطررنا الى استبداله باسم (النفائس العصرية) تمييزاً لمجلتنا عن سميَّتها البيروتية

ولما لم تبقَ الان حاجة الى هذا الاضطرار وأصبحت فلسطين منفردة باحكامها عن بيروت وكانت مجلتنا معروفة لدى القراء والصحافة باسم (النفائس) اكثر من (النفائس العصرية) جرياً على قاعدة الاختصار ــ رأينا ان نعود الى الاسم الاصلي لمجلتنا وعزمنا ان ننشرها من اول سنتها الجديدة باسم (النفائس) رجوعاً الى اسمها الاول · والله المسؤول في تيسيرنا الى متابعة العمل واخلاص الخدمة عليه توكلنا وهو الموفّق الى محجَّة الصواب

فهرست المواد

(١) الروايات

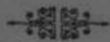
(٢) المقالات

(٢) القصائد والاشعار



(٣) المنشورات والانباء

— والنبذ الصغيرة —



(٥) الآثار الادبية

— واهداء المجلة —



(٦) اسماء المكاتبين

— واصحاب المقالات —

﴿ وكل ما نُشر خالياً من التوقيع ﴾
﴿ فهو لصاحب المجلة ﴾

